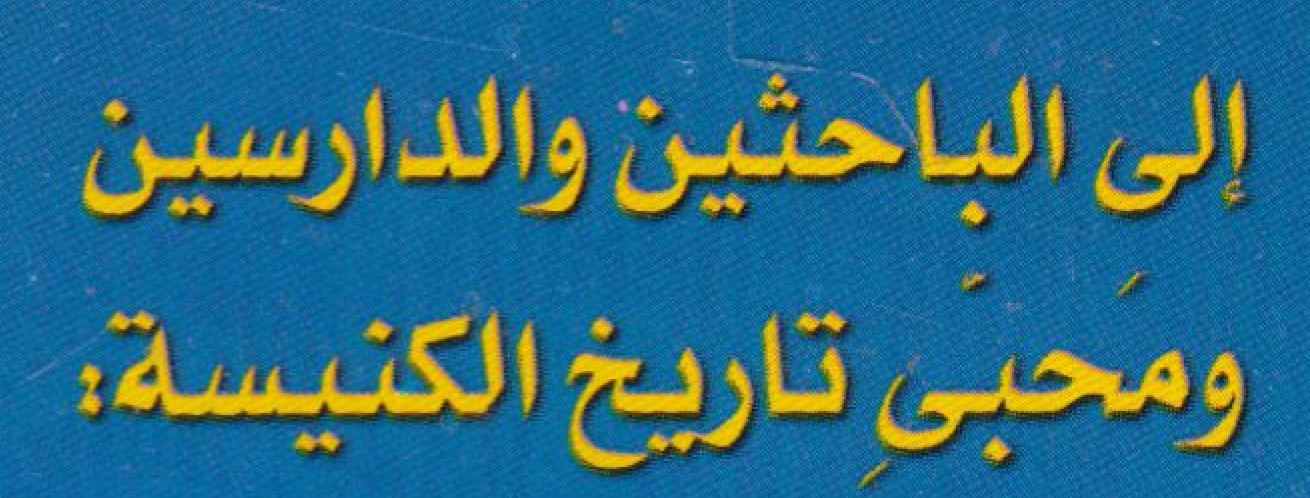
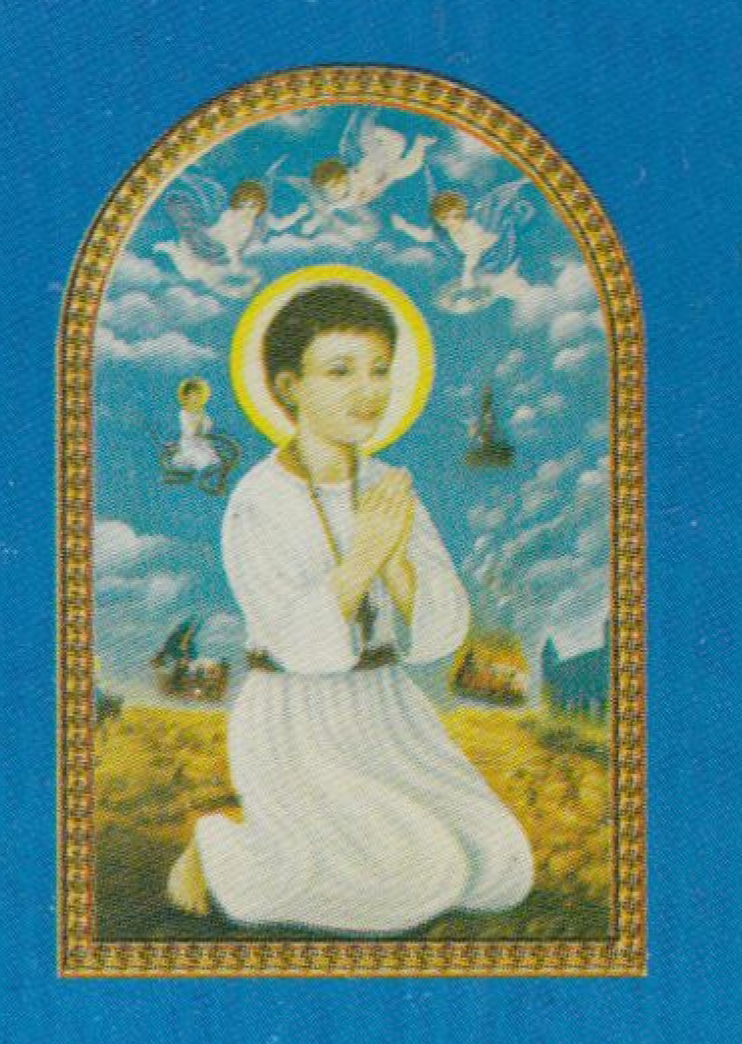
مكتبة المحبة

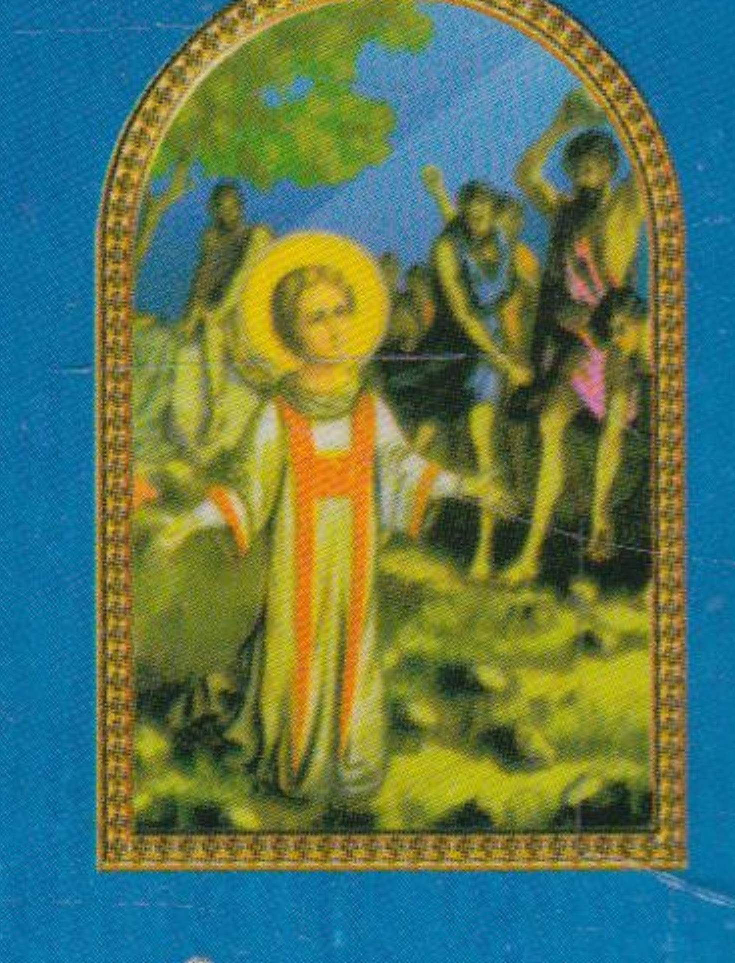


إلى الباحثين والدارسين
ومُحبى تاريخ الكنيسة:

# تاريخ إنتشار الديانة المسيحية







+ أسباب الإضطهاد الأولى.
+ نماذج من تجارب الشهداء.
+ من سير الشهداء القدماء.

تأليف
المُتنيَّح القس منسى يوحنا
(١٨٩٩ - ١٩٣٠)

تنسيق وتعليق
دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر



مكتبة المحبة

إلى الباحثين والدارسين ومُحبّي تاريخ الكنيسة :

# تاريخ انتشار الديَانة المسيحيّة

+ أسباب الاضطهادات الأولى .

+ نماذج من تجارب الشهداء .

+ من سير الشهداء القدماء .

تأليف

المتنيح القس منسى يوحنا

(١٨٩٩-١٩٣٠)

تنسيق وتعليق

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

٢٠/٥هـ

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع ١٣٨٦٣ - ٢٠٠٤
الترقيم الدولي 7 - 5 8 7 0 – 2 1 – 977



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

## كلمة عن المؤلف

وُلِد القس منسيّ سنة ١٨٩٩ بناحيـــة هــور مركــز ملوى من أبوين مسيحيين تقيين. وتنيّح والده وهو فى سـن الطفولة . فعنيت أمه بتربيته تحت رعاية جده الوقـــور . ونظراً لما كانت عليه رحمها الله من الصــــلاح والـــورع والحكمة وكرم النفس والبِرّ بالفقراء والمساكين والعطـــف على الأرامل واليتامى والمجربين فقد تشرب منــــها هــذه الصفات.

وكان حبه لكنيسته الأرثوذكسية غريزة متأصلة فـــى نفسه . وبلغت شدة تعلقه بها أنه حفظ الكثير مما يتلى فيها وهو طالب بالمدارس الإبتدائية ولم يكن قد تجاوز الثانيـــة عشرة من العُمر . ثم دفعته غيرته علـــى تقّـــدم الكنيســـة ونمائها إلى أن يُكرّس حياته لخدمتها . فالتحق بالمدرســـة الاكليريكية وهو فى سن السادسة عشرة من عمره ، بعـــد تردُّد مديرها فى قبوله ، لصغر سنه .

وبعد بضعه شهور أصبح موضع إعجاب مديرها وأساتذتها ، لِمَا أظهره من النبوغ . واستمر متفوقاً. ولم يكن يكتفي بما يتلقاه من الدروس المقررة بل كان يحصل على كل مفيد من المراجع، من مؤلفات العلماء اللاهوتيين - والمؤرخين - ويدرسها بعناية تامة . فاتسعت بذلك مداركه وكثرت معلوماته وثقافته.

ولما تخرَّج عُيِّن واعظاً لكنيسة ملوى القبطية ووجده شعبها واعظاً تقياً قديراً ، ومعلماً فاضلاً حكيماً ومرشداً صالحاً أميناً . فأحبه جميع أفراد الشعب ، وظهر موقفهم الرائع حينما قرأوا - فى إحدى الصحف - أن نيافة مطران المنيا قرر نقله من كنيستهم إلى كنيسة سمالوط ، فقاموا معترضين على نقله . وألفوا من بينهم وفداً قابل نيافة المطران . فتفضل نيافته وهدأ خواطرهم بنفيه إشاعة نقله نفياً باتاً . وأبلغهم أن واعظهم عندما زار كنيسة سمالوط - تلبيه لدعوة أعضائها - تعلَّق به أهلها ،

وأخذوا يمهدون السبيل لتعيينه فى كنيستهم ، ولكن نياقتـــه لم يوافقهم على ذلك لما يعلمه من شدة محبة شعب ملــوى له ودرجة تمسكهم بوجوده بينهم.

وكان إثنان من المطارنة قد عرضا عليـــه الخدمــة معهما نظير مرتب كبير، ولكنه فضّل البقاء بكنيسة ملـوى نظراً لما وجده فى أهلها من المحبة والإخلاص والوفـــاء غير ناظرٍ إلى الماديات الفانية ، لأنه لم يكن يبغى ســـوى خدمة هذه الكنيسة ونموها الروحى.

وقد رُسِمَ كاهنا لكنيسة ملوى فى ينـــاير ســنة ١٩٢٥ بناء على تزكية إجماعية من شعبها .

وكانت حياة القس منسى يوحنا – نيَّـــح الله نفســـه – سلسلة جهاد متواصلة الحلقـــات . فإنـــه عــلاوة علـــى اضطلاعه بمسئوليات الخدمة بالكنيسة وافتقـــاد الرعيـــة والقيام بالوعظ والتعليم ، كان يداوم الاطـــلاع والبحـــث والتأليف والنشر. ولقد تمكن فى غضون تسع سنوات مـــن

تأليف خمسة عشر مؤلفاً قيماً. فضلاً عما كان ينشره في الصحف والمجلات من البحوث الروحية والأدبية ، وعن تحمّله أعباء إدارة وتحرير مجلة الفردوس .

ولقد حلت به في سنّي حياته القصيرة تجارب متنوعة . فتحملّها بالصبر ، مقدماً عنها لله خالص الشكر. وجُرِب في أبنائه ، فكان كلما رُزِق أبناً اختطفه الموت منه، وجُرب كثيراً في صحته ، فاحتمل بشكر .

وفي يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ تحدث إلى من كانوا في زيارته – للاستفسار عن صحته – قائلاً لهم : **" سأموت الليلة فأرجو أن تصلُّوا عليَّ في ملوى وتدفنوني في هور " .**

فكان شأنه في ذلك شأن غيره من الأبرار القديسين الذين يشعرون بدنو الأجل وقُرب الساعة. وما أن وافت الساعة الثانية عشرة من مساء اليوم المذكور إلا وفاضت روحه الطاهرة، فأصعدها الملائكة إلى السماء.

أى أنه فى يوم ١٧ مايو سـنة ١٩٣٠ تنيَّـح القـس المبارك فى عمر ٣١ عاماً فقط ، بعدما خدم كنيسته وقـدم العديد من المؤلفات، التى لازلت مكتبـة المحبـة تـهتم بنشرها ، لكثرة طلبها . ولاشك فإن الحياة تُقاس بعمقـها وليس بطولها . صلواته تكون معنا ، آمين.



## بسم الآب والابن والروح القدس الإلة الواحد آمين

## تمهيد

لم يكد يولد السيد المسيح حتى قام صراع عنيف بين قوتين : الواحدة منظورة، والأخرى غير منظورة . الأولى قوة العالم والثانية قوة المسيح الروحية. وقد أراد الله أن يخلص النفوس وأن يؤسس المسيحية. وأبى أهل العالم قبولها مدفوعين بعدم حكمة من الشيطان المخادع وجعلوا يحاولون هدم ماقصد الله بُنيانه.

فما تمتً ثلاثمائة سنة بعد الميلاد حتى هوى جميع المقاومين. من اليهود والرومان. وفي الفصول الآتية تفصيل تلك الحوادث التى تخللت ذلك الصراع . نضعها بين أيدى المسيحيين الآن، لتكون هدى لهم فى صراعهم مع الخطية والشيطان.

وقد نبَّه الوحى المقدس إلى أهمية أخذ الدرس اللازم للنفس، من تلك الشخصيات العظيمة والحكيمة والمجاهدة، كما قال الرسول بولس : " اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله، **انظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم"** (عب١٣: ٧) .

# (القرن الأول)

## (الفصل الأول)

## حوداث الاضطهاد

(١) اضطهاد اليهود للمسيحيين.
(٢) انتقام الله من اليهود.
(٣) سبب كراهية الأمم للمسيحيين .
(٤) الاضطهاد الأول فى عهد القيصر نيرون .
(٥) الكولوسيوم (الملعب الرومانى) .
(٦) الاضطهاد الثانى فى عهد دوميتيانوس قيصر.
(٧) كيفية الحكم وعذابات المسيحيين.
(٨) درجات الشهداء.

### (١) اضطهاد اليهود للمسيحيين :

إن أول من أثار زوابع الاضطهاد على الرسل والمسيحيين هم اليهود - لاسيما كهنتهم - وذلك لشدة خوفهم على مصالحهم الشخصية، إذا تغلّبت الديانة المسيحية. واضطهاد يهود فلسطين مُدوّن بسفر أعمال

الرسل. إلا أنهم لم يكتفوا بذلك ، بل أرسل رؤساء كهنتهم ومشايخهم رسلاً إلى اليهود - المقيمين في الولايات الرومانية - يحثونهم على تجنب مُخالَطة المسيحيين . وعلى اضطهادهم بقدر الإمكان .

فأظهر اليهود المتشتتون قساوة عظيمة ضد المسيحيين . واجتهدوا فى إبادتهم ، وسعوا إلى إثارة مشاعر الحُكام الرومان والعامة عليهم . ولكي يكون لأغراضهم السيئة صورة مقبولة أذاعوا بأن قصد المسيحيين التمرُّد على أوامر الحكومة الرومانية . بدليل أنهم يعترفون بيسوع المسيح ملكاً عليهم، مع أنه فاعل ... عاقبه بيلاطس الوالى - وحكم عليه عدلاً - بالموت .

وهكذا امتد لهيب بغض اليهود للمسيحيين فى جميع الأماكن ، وتوارثه الأبناء عن الآباء فى الأجيال التالية حتى أنه لم يكن للكنيسة فى المستقبل أعداء أشد خطراً من اليهود. وكانت اضطهاداتهم للمسيحيين هكذا شديدة فى

القرن الأول . واستمرت مشــتعلة حتــى توقفــت بــأمر طيباريوس قيصر – على ما قيل – بسبب مريم المجدلية ، لأنها ذهبت إليه وشكت له تصرفات اليهود ضــــد تــابعي المسيح. وقصَّت عليه خبر يسوع مصلوباً . فأصدر أمــراً بمنع اضطهاد المسيحيين . وبذلك استراحت الكنيسة مـــن أذاهم بعض الوقت .

غير أن اليهود أعادوا اضطهادهم للمسيحيين – مــرة أخرى – في عهد الإمبراطور نيرون ، لأن هذا الطاغيـــة كان قد أمر بقتل رئيس كهنة اليهود بأورشليم . فثار لذلــك اليهود على من كان من المسيحيين هناك . وقتلوا أســقفهم القديس يعقوب البار (ابن حلفى) وهدموا كنيســــة كــانت للمسيحيين . وأخذوا الصليب الذى صُلِــب عليــه الســيد المسيح والذى احتفظ به المسيحيون هو والخشبتين اللتيـــن كانتا معه ، ودفنوهما فـــى مزبلـــة . فكــان المســيحيون يترددون إلى مكان قبر وصليب المسيح ويصلون هنـــاك. فكان اليهود يضعون على موضع الصليب القاذورات.

وسكن حينئذ أورشليم يونان وثنيون. فمنعوا المسـيحيين من الصلاة فى موضع الصليب. وبنوا هناك معبداً وثنياً .

**(٢) انتقام الله من اليهود :** غير أن الله الذى قال :" **لـــى النقمة أنا أجازى يقول الرب** "(رو١٢: ١٩). أخذ يقتـص لعبيده المسيحيين من مضطهديهم اليهود . وذلك أن السـيد المسيح لما كان على الأرض تنبأ بخراب هيكـل ومدينـة أورشليم. فتم قوله وخُرِبَت بعد أربعين سنة لصعوده لـــه المجد إلى السماء (سنة ٧٠م) .

وقد وصف المؤرخ اليهودى يوسيفوس مـا حـدث كالآتى :

+ " إنه فى زمن من موت المسيح كانت تظهر كـل يـوم فى الهيكل رؤى عجيبة حتى أن أحد العلماء المشـهورين أخذ يصيح – ذات يوم – قائلاً :" ياهيكل ياهيكل ، تُـرَى ماذا يحدث لك ؟ ولماذا يحل الرعب فى نفسـك ؟". وقـد سُمِع ضجيج – فى القدس – فى يوم عيد العنصرة (حلـول

الروح القدس) وصوت مرعب رن في جوف هذا المكان المقدس يقول : " اخرجوا أخرجوا من هنا ، فإن الملائكة القديسين حُرّاس الهيكل تركوه جهاراً، لأن الله الذى جعل سكناه فيه - منذ أجيالٍ كثيرة - قد رذله" . ثم قبل ماثارت الحرب التى دمرت أورشليم بأربع سنوات ظهرت لليهود علامتها.

وقد روى ذلك يوسيفوس أنه بينما كان عائداً من حفل يوم عيد المظال وبينما كانت المدينة تنعم بأعظم سلام شرع شخص يصرخ بغتة ويقول : " الويل للمدينة الويل للهيكل . صوت من المشرق وصوت من المغرب وصوت من الأربعة أركان العالم . الويل للهيكل ، الويل لأورشليم " . ولم يكف ليلاً ونهاراً عن الطواف حول المدينة وتكرار هذا التهديد نفسه. فعاقبه الولاة عقاباً شديداً ليصمت. ولم ينطق بكلمة يُبرر بها نفسه. ولم يشكُ من عقاب، بل لبث يصرخ كالأول قائلاً :" الويل للمدينة الويل للهيكل".

فأخذوه حينئذ إلى الوالى الرومانى . فأمر بضربه . فضربوه ضرباً شديداً بالقضبان. فلم يلتمس عفواً رغم ما يقاسيه من ألم الضرب. بل مع كل ضربة كان يكرر قوله الأول ويزيد فى الصراخ :" الويل لأورشليم".

"وكان يزداد صراخه أيام العيد . ولما كانوا يسألونه من أنت؟ ومن أين أتيت؟ وما قصدك بهذا الصراخ ؟". لم يكن يجيب بكلمة قط. بل مازال يداوم على الصراخ بعزم كالأول ، حتى حسبوه مصاباً بالجنون ، فأطلقوا سبيله. ولم يسكت عن هذا الكلام. ولاحظوا أن الصراخ الشديد المتواصل لم يضعِف صوته بتة. فلما تم الحصار على أورشليم (٧٠م) كان داخل المدينة، يطوف حولها. وهو يصرخ قائلاً:".. الويل للهيكل ، الويل لأورشليم " . ثم قال أخيراً الويل لى" وفى الحال أصيب بحجر مرشوق بآلة فقتل به .

ونظراً لأن اليهود كان يضايقهم حمل نير استعمار الرومانيين لهم . فعصوا عليهم . وكان هذا التمّرد علة

دمارهم. فشدد عليهم الرومانيون الحرب لإخضاعهم . وضرب فسباسيانوس اليهود . ووقع الانقسام بينهم وتحزبوا أحزاباً مختلفة في المدينة . وارتكبوا أقبح المظالم. فكانت المدينة التعيسة تضايقها البلايا من جهتين: ففي داخلها كان التحزُّب يُهلكها . وفي الخارج كان جنود الرومانيين يحاصرونها. فلما علم فسباسيانوس ماكان في داخل أورشليم، ترك اليهود ليفني بعضهم بعضاً ، ليسهل عليه بلوغ هدفه.

ثم مضى لروما وصار إمبراطوراً . وترك إبنه تيطس لتكميل الحصار . فأتى تيطس بالعسكر لمكان يبعد عن أورشليم ميلاً واحداً. وسد جميع منافذ المدينة. وحيث كان قد قَرُبَ عيد الفصح اجتمع في المدينة جمهور غفير من اليهود . وفي فترة وجيزة نفد كل ما عندهم من طعام، وأشتد الجوع عليهم. فكانوا حينئذ يثبون على البيوت ليجدوا طعاماً. وكل من خَبَّأ قوتا عذبوه عذاباً فادحاً

ليبينه. وقد التجأ الكثيرون إلى أن يأكلوا كل ما يجدونـــه . ويخاصم بعضهم بعضا عليـــه. ويخطفـون الخـبز مـن الأطفال ويضربونهم بشدة ليفلتوا من أيديهم.

ومع هذا لم يرجع العصاة عن غيهم تجاه الرومان بل كانوا يزدادون غضبا وعنادا في مداومة الحـــرب. فلمـــا استولى تيطس على القلعة المسماة أنطونينا تقدم بـــالجيوش إلى الهيكل. وتسلم الرواقين الخارجين . وتفاقمت المجاعة جدا حتى اضطر اليهود – من شدتها – إلى أن ينبشوا فـي القبور ويأكلوا الأقذار المنتنة. وكانت إمرأة ضايقها الجوع واستحوذ عليها اليأس . فأخذت طفلا لها يرضع ونظـــرت إليه وقالت له : " ويلك أيها الطفل. لماذا أبقيك في الحيـــاة لتهلك جوعا؟ أو تصير عبدا للرومانيين".

قالت هذا ، وللوقت ذبحته وشوت لحمه على النـــار وأكلت نصفه وخبأت ما بقي. فلما اشتم الناس رائحة اللحم المشوي دخلوا بيتها وتوعدوها بالقتل إن لم تبين لهم مـــا

أخفته. فحينئذ قدمت لهم ما بقى من لحـــم إبنـها . فلمـا شاهدوه اقشعروا من المنظر المُريع ، ووقفوا جامدين !!.

وأمر تيطس بضرب سور الـهيكل الثـانى وحـرق أبوابه . إلا أنه أمر بحفظ جزء من الهيكل ، ولكن جنديـاً من الجنود الرومانيين أتاه إلهام إلـهى - علـى مـاروى يوسيفوس المؤرخ - فأخذ شعلة من النار فألقاهـا . ففـى الحال دخلت النار الهيكل . فأفنته ولم يستطع تيطـس أن يخمدها تنفيذاً لقضاء الله المحتوم .

وقتل الرومانيون كل من وجدوه فى المدينة . وألقـوا فى النار كل ماشاهدوه . وهكذا تمت نبّوة يسـوع . فـإن تيطس نفسه أقر أن هذا النصر لم يكن من عمله بل إنـه كان الة للنقمة الإلهية. فهلك فـى الحصـار ألـف ألـف (مليون) ومائة ألف إنسان من سكان المدينة . والذين بقـوا -من هذه الأمة التعيسة- تبددوا فى كل المملكة الرومانية.

أما المسيحيون بأورشليم فلم يصبهم أذى ، لأن سيدهم كان قد أوصاهم بالهروب حينما يرون رجسـة الخـراب

قائمة. فلما شاهد المسيحيون صورة النسر الرومانى على أعلام الرومانيين حول أورشليم ، تحققوا قول سيدهم . وخرجوا من أورشليم وتوجهُّوا إلى قرية "بيلا" (Pella) القائمة فى شرق الأردن ، وأقاموا بها .

**(٣) سبب كراهية الأمم للمسيحيين:**

وكان فى مدينة رومية عدد كبير من المسيحيين. ومع أن الرومانيين لم يكن من عوائدهم كراهية أى شعب لأجل ديانته - بدليل أنهم سمحوا لليهود أن يعيشوا بموجب شرائعهم- إلا أنهم أبغضوا المسيحيين جداً وذلك لسببين :

**الأول** : أن الرومانيين وإن كانوا يبيحون لكل واحد التمسُّك بدينه بكل حرية ، إلا أن غيرتهم على ديانتهم كانت عظيمة ، وكانت ديانتهم مبنية على خُرَافات باطلة وطقوس خارجية . وكانت ديانة المسيحيين قد اعتبرت عقائد الرومان خرافات وثنية ، مما أغاظهم منهم .

**والثانى** : أن ديانتهم الوثنية كانت تبيح لهم ارتكاب خطايا كثيرة . فكان المُتعبِّدون لباكوس (إله الخمر) مضطرين

أن يسكروا ليرضوا إلههم. وكان كـل المتعبدين لإلـه الإنتقام، أو إله الجمال، أو إله الزنا أو إله القتـل، كـانوا مرغمين أن يباشروا هذه الأفعـال ، استجلاباً لرضـاء معبودتهم. فكانوا على نقيض تام مع المسـيحيين، الذيـن كانوا يعبدون إلهاً يأمر بالطهارة والقداسة ، وكـل صفـة صالحة.

وهذا الأمر دعا المسيحيين أن ينفصلوا عن الوثنيين وألا يشتركوا معهم فى الأعياد والاحتفالات الوثنية . ممـا جعل الرومان يكرهونهم ، ولاسـيما الكهنـة والسـحرة والتجار والصناع الذين كانوا يتـأكدون أنـه إذا تغلبـت الديانة المسيحية أُغلِق فى وجودهم باب الربـح. ولذلـك أُشيع عن المسيحيين بأنهم قوم أشرار ، معجبون بأنفسـهم وغير محبين للسلام، بل يريدون القيام بحـروب مدنيـة. وقال المؤرخ سوتونيوس :" إن الملك إقلاديوس نفى مـن رومية الذين كانوا دائماً يُهيِّجون الشعب . وكان المسـيح رئيسهم".

وقد وصل الحال إلى أن وصف المؤرخ تاسيوس المسيحيين بأنهم " مبغضو الجنس البشرى" كما أن سوتيونيوس لقبها " بالخباثة " وكانت الدعاية المضادة هى السبب الأول الذى جعل الجميع يتوهمون بأن المسيحية خطر عظيم .

وهكذا انتشرت الإشاعات ضد المسيحيين حتى أن ذوى الأغراض غرسوا فى عقول العامة أن كل البلايا والحروب والصواعق – والأمراض التى كانت تحل بالبشر – أرسلتها الآلهة المغتاظة، لأنهم عفوا – فى كل مكان – عن المسيحيين الذين إزدروا بهم(١) .

---

(١) خاف الأباطرة على مراكزهم لأنهم كانوا يُخضِعُون الإمبراطورية الواسعة باعتبارهم آلهة، وعلى الشعوب أن تخضع لهم، بينما أنكرت المسيحية عبادة البشر ، فأقاموا عليها حروباً شديدة ، كما سيلى .

وهناك سبب آخر –زاد من كراهية الرومان للمسيحيين– وهو أن اليهود وأتباع سيمون الهرطوقى المقيمين فى رومية كانوا يذيعون عن المسيحيين – تُهماً باطلة – حتى إنه فى وقت قصير، عُرِف عن المسيحيين بأنهم يقتلون الأطفال ويأكلون الناس . ويرتكبون المُنكَّر مع أقربائهم . وأنهم مُضلِلُّون . ويُهيجّون الشعب إلى العصيان على الإمبراطور .

بهذه الأسباب – وغيرها – حملت الشعب الرومانى على أن يحقد على المسيحيين حِقداً عظيماً . وكان الجميع ينتظرون فرصة مناسبة يتمكنون فيها من أن يشفوا غليلهم، وينتقموا منهم انتقاماً يستحقونه على ماسمعوه منهم !!.

وقد أتيح لهم – فيما بعد ذلك – الظرف المناسب الذى أوقعوا فيه المسيحيين فى بلايا فظيعة. وقد ذكر المؤرخون عشرة اضطهادات متوالية –فى ثلاثة أجيال متتابعة– وقعت على المسيحيين . وسيأتى الحديث عن كل منها فى مكانه، كما يلى :

**(٤) الاضطهاد الأول فى عهد نيرون قيصر :** قبل ذلك اضطهد كايجولا قيصر المسيحيين اضطهادات خفيفة. وانتهت عندما ظهرت فى بيته إمرأة متمسكة بالديانة المسيحية. فدافعت ، عنهم وردَّت أذاه عنهم .

أما اضطهاد نيرون فكان سببه أن هذا القيصر – الذى أشتهر بكثرة فظائعه – عزم على أن يحرق مدينة رومية ، لكى يشهد كيفية حرق مدينة طروادة . ويغنى أشعاره هوميروس فى وصف ذلك الحريق. وبينما كان لهيب النار يتصاعد وصراخ المتألمين يصل إلى الجو، كان نيرون جالساً على برج عالٍ يتفرَّج. وبيده آله طرب يغنى عليها أشعار هوميروس فى وصف حريق طروادة . ولبثت النار مشتعلة تسعة أيام، هلك فيها ألوف عديدة من الناس. وأتلفت النيران عدة أحياء فى المدينة .

وكان الشعب يعلم أن نيرون نفسه هو سبب هذا الحريق. فأظهروا عظيم سخطهم عليه. وإذ كان يخشى عاقبة هذه الكراهية ، حاول كثيراً أن يُبرِئ نفسه . وإذ أُحبط مسعاه، وجَّه نظره نحو المسيحيين – وكان يبغضهم

جداً – وإذ علم أن الشعب أيضاً يمقتهم ، فلكي يستجلب رضاه، ألقى عليهم التُهَّمة بأنهم هم الذين أحرقوا مدينة رومية.

فانفجر بُركان غيظ الشعب ضدهم، وأخذوا يضطهدونهم اضطهادات بربرية . فكانوا يميتون كثيرين منهم بأشنع أنواع العذاب وأفظعها. فمنهم من ألبسوهم جلود الوحوش ودفعوهم للأسود فمزقتهم. ومنهم من علقوُهم على الصلبان. وشدوا كثيرين بأوتاد لكى يمنعوهم من الحراك وقطعوا عروق بعضهم وفتحوا أوعية دمائهم ونزفوا الدماء حتى استشهدوا .

وألبسوا غيرهم ثياباً مدهونة بالزفت والشمع – وغير ذلك من المواد القابلة للاشتعال – وأحرقوهم أحياءً. وكانوا يستغنون بلهيبهم عن المصابيح ليلاً . ويُقال إن نيرون نفسه أقام ألعاباً فى بستان له، على نورهم. ومر بموكبه فى وسط تلك المصابيح المسيحية الحية !!.

ومع ما كان عند الشعب الرومانى من البغض الشديد للمسيحيين . فإن حالة هؤلاء التعيسة حملت كثيرين من

الرومانيين على أن تأخذهم الشفقة بهم، إذ كانوا يرونهم يُقتلون جميعاً بظلم رجل واحد ، وبدون مُبرَّر .

ولم ينحصر هذا الاضطهاد فى رومية ، فقط بل امتد أيضاً إلى الولايات الرومانية الأخرى ، ودام مدة طويلة. ويقال إن نيرون وضع قوانيناً تمنع الإنسان من اعتناق الدين المسيحى ، وتوجب أشد القصاص على الإيمان .

وذكر سوتيوس أن نيرون عذَّبهم ، لأنه اعتبرهم من السحرة . ويدلنا على ذلك لوحة أثرية عُثِّر عليها فى أسبانيا ويمدح فيها الناس نيرون على تنظيفه المملكة من الخرافات الحديثة، ومن اللصوص ، ويعنون بها التعاليم المسيحية والمسيحيين !!.

وأستمر هذا الاضطهاد مدة أربع سنين. تجرَّع فيها المسيحيون كل نوع القساوة . ولم ينتهِ إلا بانتحار نيرون. وكان من بين شهداء هذا الاضطهاد القديسين بولس وبطرس الرسولين. وكانا قد ذهبا إلى رومية ليُقوِّيا إيمان

المضطهدين. وأرسطوس من كورنثــوس وأرســترخوس المقدونى وإيرونيموس ويوسف المُلقَّب برســابا، وحنانيــا الرسول تلميذ المسيح فى دمشق ، وغيرهم مــن تلاميــذ الرسل الأطهار.

قال تاســيتوس المــؤرخ فــى مؤلفــه الســجلات التاريخية(١) . الوسائل التى استعملها نيرون ليُحوِّل تهمــة الحريق عن نفسه ، ويلقيها علـــى عــاتق المســيحيين ، مانصه: " ولكن لم يفــد كــل هــذا الســخاء ولا الكــرم الإمبراطورى ولا الكفارات التى قُدِمّت للآلهة فــى محــو العار الذى تلطخ به نيرون ، بإصداره أمراً بحرق روما ، ولكى يزيل عن نفسه شُــبهة حــرق المدينــة ، ويوقــف الإشاعات المتداولة بين الناس ضده ، ألقى تُهمة الحريــق على جماعة معروفة كان النــاس يبغضونــها لجرائمــها السرية. فعذبها بكل أنواع العذاب الوحشــية. آمــا تلــك

(1) Tacitus, Annals, 15. P. 44.

الجماعة فكانت تُلِّقب ذاتها " **بالمسيحيين** " ، نسـبة إلـى شخص أسمه المسيح حكم عليـه – بـالقتل – بيلاطـس البنطى ، الوالى فى عهد القيصر طيباريوس . وبواسـطة هذا العذاب الذى عذب به الإمبراطور نـيرون جماعـة المسيحيين وقف سريان هذه الخرافات الوبائية فى جسـم الإمبراطورية إلى حين ".

" وبعد ذلك ابتدأ أن ينتشر – مرة أخرى– ليس فقـط فى اليهودية ، مصدر هذا الشر، بل ظهر أيضاً فى رومية ذاتها ، حيث يجتمع كل عار وجريمة وقتل. وتتخذ لنفسـها صورة اجتماعية ، فتصبح عادة مألوفة. فكان يُلقى القبض أولاً على بعض أفراد تلـك الجماعـة ويُكرهـون علـى الاعتراف . ثم تُستَدل منهم على أسماء جمـاهير غفـيرة أخرى. فتُلَّقى عليهم التهمة، ويُعذّبون باعتبـارهم أعـداءً للجنس البشرى ، أكثر من أنهم أحرقوا المدينة. ولم يُكتـفَ بمجرد الحُكم عليهم بالموت، بل كانوا يُقتلَوُن بعد إهانـات وعذابات. فكان بعضهم يوضع فـى جلـود الحيوانـات

المفترسة وتُطلق عليهم الكلاب الشرسة المُجوَّعة. وبعضهم يُعلّق فوق صلبان، وتوقد تحتهم النيران لينيروا ظلام الليل ، متى حل المساء".

(٥) الكولوسيوم: (Coloseum) هو أسم للملعب الرومانى الذى شيَّده تيطس قيصر فى أرض واسعة تابعة لقصر نيرون ، مساحتها خمسة أفدنة. وكان يحيط بذلك الإستاد سور عظيم مرصوص من الداخل بمقاعد بعضها فوق بعض ، معدة لجلوس الجماهير ، التى تحضر لمشاهدة العروض التى تجرى هناك، وكانت تنشر فوق المقاعد خيام كبيرة (مظلات) لوقاية المتفرجين من حرارة الشمس. وكانت أرض هذا الملعب مفروشة بالرمل لكى يمتص الدماء التى تسيل من المتبارزين.

وكانت أفظع تلك المباريات التى كانت تجرى فى الكولوسيوم تلك الجولات التى تجرى بقساوة مع المجرمين وأسرَّى الحروب .

ولما قام الاضطهاد ضد المسيحيين أتى بكثير منهم إلى الملعب ، وطرحوهم للوحوش بدلاً من الأسرى والمجرمين. ولكى نبسط للقارئ وصفاً يُقرّب الحقيقة إلى فهمه نأتى له بما كتبه فى هذا الشأن هنرى سبانكيا فى كتابه "**كوفاديس**" أى إلى أين أنت ذاهب (يارب) ؟ وقال تحت عنوان (أبطال المسيح فى ساحة القتال).

**(المشهد الأول)**

مَثِّلَ فى خاطرك كيف فُتِح باب الحبس . فتدافع الرجال والنساء المسيحيون يهرولون مسرعين نحو منتصف الميدان(الأستاد) . وهناك جثوا على ركبهم وبسطوا أيديهم نحو السماء ، ينتظرون أشد أنواع العذاب بثبات ، مُتطلعيّن إلى مسكنهم الأعلى . وبينما كان المشاهدون يتوقعون أن يسمعوا منهم كلمات الاستغاثة والاستعطاف ، اندهشوا إذ سمعوهم يُسبحُّون العلى القدير، ويرتلُّون بصوتٍ عذب يأخذ بمجامع القلوب . قائلين " يا ملك السلام أعطنا سلامك .. الخ".

وبينما هم غارقون فى لذة مناجاة الحبيب إذ بباب آخر أنفتح، وخرجت منه كلاب هائلة تُلقِى الرُعب فى القلب. فهجمت مندفعة بقوة حتى وصلت إلى الراكعين المسيحيين. وهم يلبسون جلود الحيوانات .. كأنما اعترضها سد منيع. فتوقفت عن السير ، وشرعت تنبح نُباحاً يبلغ القلوب. ومن ثم تقدّم كلب إلى إمرأة راكعة أمام الجميع وأمسك بكتفيها فأرقعها على الأرض . وتلى ذلك هجوم بقية الكلاب وعلت زمجرتها ، وجرت الدماء أنهاراً. وكان الواقف يسمع بين الزمجرة أصواتاً ضعيفة قريبة الشبه بالتنهُّدات العميقة تقول :" لأجل المسيح . لأجل المسيح".

## (المشهد الثانى)

ولما شبعت الكلاب ضعفت قواها وانطرحت على الأرض . ففتح المطبق الأرضى. فخرجت منه السباع تتهادى مفتخرة بقوتها وبمخالبها . ومدت أنيابها ، وعندما رأتها الكلاب ولت هاربة مذعورة . فوصلت السباع إلى

فريق آخر مُرتدين جلود الحيوانات . وهـــم يُســبُّحون الله ويُهلِّلون. فلم تقف السباع كالكلاب. بــل ثــار تأثرهــا .. واتقدت عيونها وهجمت على أولئـــك المســاكين الذيـن يعذبون فى سبيل الحق. وقفز أحدهما على إمرأة بوجهـــها جرح وجعل يلحس الدم المتجمد . ثم اقترب أســدان مــن رجل يحمل على صدره ولده. فلما رأى الصبى ذلك ذعـر وضغط على عنق أبيه محتمياً به. فاجتهد أبوه أن يُســلِّمه لمن هم وراءه، لعلَّهم ينجون ، فيخلُص معهم. ولكن لـم يستطع إلى ذلك سبيلاً. لأن الأسد هجم بعنـــف . فالتـهم الولد والتهم الأسد الثانى أباه. وهكذا تتابعت الأسود تــأكل اللحوم البشرية. والجمهور القاسى القلب يفــرح بــالمنظر المؤثر !!.

## (المشهد الثالث)

ويرون أيضاً كيف خرجت طائفة من المسيحيين فـــى هيئة المصارعين. متقلدين السيوف والرماح. فلما وصلــوا إلى المسرح رموا تلك العدد، وجعلوا يتعانقون ويتوصلون

بالصبر على الآلام، لأن فـــي ذلـــك رضـــاء الله تعـــالى والوصول إلى ملكوته. وإذا برجال أشـــداء قـــد انقضـــوا عليهم . انقضاض الصواعق . فمزقوا لحومهم. كأن ذلـــك لم يكفهم. فأحرقوا بعضاً من أولئـــك المســـاكين ، وذرّوا رمادهم فى الهواء.

## (المشهد الرابع)

وبعد ذلك تم فتح سجن الاستاد. فخرج المضطـــهدون يسرعون ، وسبق كل منهم أخـــاه إلـــى المـــوت تعجُـــلاً للوصول إلى ملكوت السموات . فضاق بهم المسرح. وفى ذلك الوقت هجم الجنود عليهم وسمرُّوا أيـــدى المســـاكين وأرجلهم – على صلبانهم – ورفعوهم فى الهواء. فتحملوا آلام الصلب والجلْد، أسوة بفاديهم ومخلصهم السيد المسيح.

**(٦) الاضطهاد الثانى للمسيحيين فى عهد دوميتيـــانوس قيصر:**

كان هذا القيصر ردئ الأخلاق قاسى القلب . فوضـــع على المسيحيين نفس الضرائب القاسية ، التـــى وضعـــها

على اليهود قصاصاً لهم على عصيانهم. ثم وضع على المسيحيين قوانين صارمة ، فأمر بهدم كنائسهم واضطهادهم (١٩٣ – ١٩٤م). مما أدى إلى استشهاد كثيرين منهم.

وقال بروتيوس – وهو مؤرخ وثني– ذكره أوسابيوس في تاريخه : " إن دوميتيانوس حكم على عدد كبير من المسيحيين بالموت " وكان القديس أكليمندس أسقف رومية – في ذلك الوقت – حياً . فذكر في رسالته – إلى الكورنثيين أن كثيراً من المؤمنين قاسوا العذاب والموت لأجل أسم المسيح .

وكان الباعث لدوميتيانوس على قتل المسيحيين هو أنه بَلَغه عنهم أنهم يقولون بأن المسيح ملك ، وسيأتي ليملك على العالم . فخشيَ أن يتم ذلك على يديه ، ويُسلَب منه مُلْكه. وقيل إنه طلب من المسيحيين أن يعتبروه "**إلهاً**"، فرفضوا ، مما جعله يتوّهم أنهم ينتظرون آخر ليحكمهم سواه. فأثار الاضطهاد على اليهود لكون المسيح منهم ،

وعلى المسيحيين لأنهم يعبدونه. وقد بلغت به القساوة على المسيحيين أنه قتل الوالى فلابيوس ابن عمه، وهو خارج من دار الولاية. وعذَّب إثنين من عبيده وهما نارى وأكيلا عذاباً شديداً. ثم قطع رأسيهما. وسلب أموال كثيرين ونُفيتَ زوجته دوميتيلا إلى جزيرة بونطية - مع ابن عم لها ، ومع قوم آخرين. ثم قُتِلُوا هناك من أجل إقرارهم بالإيمان المسيحى . وقيل إن هذه القديسة أُحرِقَت هى والبيت التى كانت تسكنه - بعد أن عُذِبت عذاباً أليماً لتمسّكها بالإيمان المسيحى .

ولما سمع دوميتيانوس بأنه لم يَبق أحد من تلاميذ المسيح إلا يوحنا الرسول، استحضره لديه وعذّبه ونفاه. كما سيأتى . وفى هذه الأثناء نال إكليل الشهادة القديسون انتيباس (فى برغامس) وتيموثاوس وأنسيمُس وإكليمندس، وديوناسيوس الأريوباغى ، تلميذ القديس بولس .

وبعد ذلك أرسل واستدعى أقارب المسيح الذين كانوا باقين على قيدِ الحياة . وسألهم إن كانوا من نسل داود

فأجابوه بالإيجاب، ولكنه لما رآهم فقراء الحال ويشتغلون أشغالاً شاقة ، ليحصلوا على قوتهم اليومي أطلقهم ، بعد أن أخبروه بأن ملكوت المسيح ليس ملكوتاً أرضياً، ولكنه مُلك سماوى يظهر فى آخر الدهور. فلما تأكد من حقيقة هذا الأمر إزدرى به، وأمر بإبطال الاضطهاد.

ويظهر من كلام بعض المؤرخين أن دوميتيانوس ألغى أوامر الاضطهاد التى أصدرها ، لكنه مات قبل العمل بأمره الجديد . فقام خليفته نرفا بإطلاق سراح المسيحيين الذين أودعوا السجون لمجرد اعتناقهم ديانة تصادق عليها الحكومة رسمياً ، كما صادقت على ديانة اليهود ، وعلى عقائد سائر الشعوب الذين تغلّب عليهم الرومانيون. وبادر نرفا استرجّاع الذين نُفوا منهم لهذا الذنب، ومنهم القديس يوحنا الرسول. وعاقب العبيد وغيرهم ممن قُبِض – بوشايتهم – على الشُرفاء، مُبطلاً كل شهادة كهذه في المستقبل، ولكن لما كانت الديانة

المسيحية لا تزال غير مُصادَق عليها من الحكومة، لذا فقد ظل المسيحيون هدفاً لظلم الخصوم وإيذائهم.

+ + +

**(٧) كيفية الحكم والقصاص على المسيحيين :**

إن أنواع الأحكام التي حُكم بها على المسيحيين –وكيفية قصاصهم – كانت تختلف عن بعضها البعض . فأحيانـــاً كانوا يفتشون على المسيحيين بكل اعتناء. وأحيانـــاً كـــان القضاة يصبرون إلى أن يأتى من يشكوهم، وأحياناً كـــان يُجَّر المسيحى حالاً إلى موضع الاستشهاد، إن لم يرفـــض ديانته. وأحياناً كان الحكام يستخدمون تعذيبـــات متنوعـــة وقاسية لكى يحملوهم على الارتداد للوثنية .

فولاة المقاطعات الذيـــن كـــانوا يقـــامون بمراســـيم قيصريـــة – للتحقيق مع المسيحيين – كـــانوا يُحضِـــرون المسيحيين أمامـــهم أولاً ، ويقابلونـــهم بوجـــوه بشوشـــة ويحرضونهم بكلام عذب على ترك الديانة المســيحية. وإن

لم يُطيعوا يهددونهم بالعذاب الشديد والموت المُريع. فمن قَبِلَ أوامرهم – إما مقتنعاً بكلامهم أو خائفاً من عقابهم – كانوا لزيادة الثقة والتثبُّت يغصبونه على التضحية للأصنام ، واضعاً بخوراً وملحاً على حجر مشتعل . وبعد ذلك يتركونه حُراً. ومن لم يقتنع بكلامهم، ولا يخضع لأوامرهم كانوا يُسلمُّونه للعذاب[1].

وقد حاول الوثنيون كثيراً أن يُضعفوا من ثبات الشهداء وبسالتهم . فاستعملوا الإرهاب الشديد ، كخطف الأملاك وسلبها والسجن والجراح وقطع الأعضاء، واستخراج المعادن من الجبال . والنفى إلى الصحارى ومصارعة الوحوش . وغيرهما مما يرتاع العقل البشرى من تصوّرها فقط. وكانوا إذا لم يتمكنوا بهذه الوسائل – من زعزعة إيمان المسيحى، يحكمون عليه أخيراً بالإعدام كما يلى : .

---

(١) قمنا بإحصاء أكثر من ٣٥ نوعاً من العذابات التى تحملها المسيحيون فى العصر الرومانى، ولاسيما فى مصر.

كانت أنواع موت الشهادة أيضاً كثيرة مختلفة . فـــإن البعض كانوا يُحرقون ، وآخرون يُرجمـــون ، وآخـــرون يُطرَحون في البحر في أجولة ، أو مربوطيـــن بحجـــارة ثقيلة . وآخرون تُقطـــع رؤوســـهم، وآخـــرون يُصلبـــون منكسي الرؤوس إلى أسفل. وآخـــرون يُشـــقون نصفيـــن بالربط في نخلتين وتركـــهما يعـــودان إلـــى وضعـــهما، وآخرون يُطرحون إلي الوحـــوش الضاريـــة فتمزقـــهم . وأحياناً كانوا يسلخون جلودهم، ويتركونهم حتى يموتـــوا. وغيرهم مُزقت لحومهم ، ووضع عليهم خل أو جير حـــى أو عسل حتى ليتعرضوا للسع الزنابير ، وإلى غير ذلـــك من أنواع الميتات التي ترتعد لها قلوب الإنسان .

ومع ذلك كانوا يتقدمون للعـــذاب بفـــرح ويعلنـــون إيمانهم بشجاعة نـــادرة ، ولـــم ترهبـــهم التـــهديدات ولا العذابات الشديدة جداً .

+ + +

(٨) **درجات الشهداء :** فالمسيحيون الذين كانوا من شدة الخوف يُضحون للأصنام بحسب الظاهر، وهم في القلوب باطناً مسيحيون، كانوا يسمون ساقطين. والبعض من هؤلاء كان يقدم للأصنام ضحايا ، والبعض بخوراً فقط. وآخرون منهم كانوا يُعطون صُكوكاً بأنهم ليسوا مسيحيين، وهكذا كان يمكنهم أن يلبثوا على الديانة المسيحية في الخفاء. وأما الذين كانوا **يثبتون في الإيمان،** غير مرتاعين من العذاب، فكانوا يُسمّون ثابتين.

فمن أُلقي من هؤلاء في السجن، ولم يدركه موت الشهادة كان يسمى "**معترفا**" (confessor). وكذلك سُمي معترفاً من كان يترك أملاكه طوعاً للخطف ويهرب شارداً إلى مكان آخر، لئلا يقع تحت العذاب، فيضطر أن ينكر المسيح[٢]. ومن كان منهم يموت بعد عذاب كثير –

---

(٢) هناك شهادة **بالدم**، وشهادة **بالفم** (بالاعتراف بالإيمان، وبالسلوك بالقدوة وتحمّل أذى الأشرار بفرح وصبر وشكر).

من أجل الإيمان – وكان يسمى " شهيداً " (Martyr) . أما الذين كانوا ينالون عذابات كثيرة بعزم ثابت – ولايموتون فى العذاب بل يستمرون أحياء – فكانوا يُسمون " معْترفين وشهداءً بالعزم"(٢) .

والمسيحيون الذين كانوا يُلقوّن فى السجون . لم يكونوا يُتركون بلا تعزية، بل كان يُسارِع إليهم كثيرون من إخوانهم فى الخارج . ويشجعونهم على إحتمال الموت الذى يعتبرونه طريق الوصول لفاديهم الحبيب . وكان

---

(٢) والحاجة الآن إلى **شهادة الفم**، ليتمجَّد إسم المسيح بالمؤمن المحتمل الظلم، باعتباره بَرَكة (فيلبى ٢١: ٢٩) [راجع رو٨].

+وقال القديس يوحنا الدرجى :" لا تتضايق من الذين يصنعون إكليلك". وقال القديس باخوميوس :" من أحتمل كلمة تعيير من أجل المسيح صار شهيداً".

+ وقال القديس أثناسيوس الرسولى :" يمكنك أن تصير شهيداً الآن: " مُت عن الخطية، ولا تسجد لأصنام البطنة (شهوة الأكل)، اقطع لسانك" (عدم الرد على الأشرار).

الرب يأتى لهم بنفسه أو يرسل الهم أحد ملائكته (ميخائيل - غبريال - رفائيل - سوريال). ومن كان يموت من أولئك المعترفين فى السجن - قبل حلول العذاب به - يُحسب فى نظر الكنيسة **كشهيد فعلى.**

وكان المسيحيون حينئذ يهتمون بأقوال، وأعمال وسير وجهاد الشهداء ، منذ أن يقع عليهم القبض ، إلى آخر دقيقة من حياتهم . فكانوا يكتبونها باعتناء ، لكى تُقرأ فى الكنيسة فى أيام استشهادهم للنظر إلى سيرتهم والتمثُّل بإيمانهم (عب١٣: ٧).

+ + +

**والخلاصة :**

أن المؤمن الحقيقى لابُد من أن يحمل صليبه - كل يوم - ولا يهرب من بركة الألم ، حيث أنه له خير معلم وله أفضل جزاء ، فى الأرض وفى السماء ، وأنه ينبغى على المسيحى أن يأخذ درس من كل الشهداء .

# الفصل لثانى

**من مشاهير الشهداء الأوائل**

**(١) الرسل الأثني عشر .(٢) بولس (٣) لوقا. (٤) مرقس. (٥) تيموثاوس وبرنابا. (٦) السبعة شمامسة. (٧) إكليمندس الرومانى**

**(١) الرسل الاثنى عشر :**

**(أولا) بطرس :** هو ابن يونا. ووظيفته صياد سمك. وكان من بيت صيدا بالجليل. وقيل إنه ولد سنة ١٥ ق. م وإبتدأ يكرز بعد حلول الروح القدس عليه مع الرسل ( سنة ٣٤م) وكان إسمه سمعان . فسماه السيد المسيح "**صفا**" (فى الأرامية، وفى اليونانية "**بطرس**" وكلاهما بمعنى حجر أو صخر ، كناية عن الرسوخ فى الإيمان) . وكان بطرس من أشد تلاميذ المسيح فى الإيمان والغيرة ، إلا

أن غيرته - فى بعض الأحوال - قادته إلى الاندفاع الـذى كان سبب سقوطه الشنيع فى جحده للإيمان وإنكاره للـرب أمامه !!. ولكن كانت توبته - بعد ذلك - عظيمة، وسيرته وأتعابه تُبرّهن على أنه كان من أعظم تلاميـذ المسـيح، ومن أكثرهم خدمة وتضحية .

فعقب قبوله موهبة الروح القـدس، أصبـح صيـاداً للناس للملكوت . وجعل يطرح شباكه الروحية - فى بحـر هذا العالم ، ليجذب النفوس إلى حظيرة الكنيسة المقدسـة . وقد أيده الرب بنعمة روحية عظيمة، حتى أنه - بخطـاب واحد - خلّص الرب على يديه ثلاثة آلاف نفـس. وكـان شريكه فى بعض الرحلات - يوحنا الرسول - وذهبا معـاً إلى أهل السامرة ليضعا عليهم الأيـادى ، لأن الشـماس فيلبس كان قد عمدّهم دون أن يضع عليهم الأيادى بـالطبع لأن ذلك السلطان كان من حق الرُسل فقط.

ثم زار بعد ذلك لدّة وشارون ويافا. وأعطـاه الـرب قوة عجيبة لصنع العجائب . فعمل معجزات كثيرة حتـى

أخذ الناس يضعون المرضى فى طريقه ، ليمر بظله عليهم. فكانوا جميعا يشفون ، بنعمة الله الحالة عليه.

ثم زار قيصرية فيلبس. وعلى يديه كان قبول كرنيليوس الرومانى الوثنى فى حضن المسيحية . وبذلك فتح باب الخلاص للأمم (غير اليهود) . ولما قبض عليه هيرودس الملك وأدعه فى السجن ، أنقذه الله بقوته عن طريق ملاكه وأطلقه. ثم ذهب بعد ذلك لإتمام بعض جوالات تبشيرية.

ورجع فيما بعد لأورشليم لأجل حضور المجمع الرسولى الذى أنعقد بأورشليم ، نحو عام ٥٢ م . وفى سنة ٥٣ م قصد أنطاكيا . وكان يأكل ويشرب مع الأمم ولما حضر قوم يهود امتنع عن الأكل (منعا من عثرتهم كما ظن) فإستحق تأنيب وتوبيخ القديس بولس الرسول ، قدام الجميع (غل ٢: ١٤) ولبث الرسول بطرس بانطاكيا بسوريا لمدة تسع سنين . وقيل إنها سبع فقط . وهناك أسس كرسيا عظيما للمسيحية، ومنها قصد آسيا الصغرى

وجال فى مقاطعات بنطس وغلاطية وكبادوكية وبيثينيـــة ، ليثبت المؤمنين، الذين بشرهم الرسولين يوحنا وبولس .

ويقول المؤرخون إنه فى ذلك الحين (أى بين ســـنتى ٦٣ و ٦٧ م ) زار "**بابل**" ، التى يشير إليها فى رســـالته الأولى (٥: ١٣) حيث كتب هذه الرسالة فيها .

واختلف الرأى فى أى بابل يعنى ؟ فالغربيون يقولون إنها رومية، ليثبتوا إدعاءهم أن بطرس أسس كرسى تلـــك المدينة، مستندين على أن سفر الرؤيا يطلق على روميـــة لقب "بابل" مع أن سفر الرؤيا كتب بعد رســـالة بطـــرس الأولى بثلاثين سنة. ولا يحتمل أن تكون بابل العـــراق ، لأنها لم تكن حينئذ سوى قرية صغيرة.

فلاشك فى أنها بابل مصر حيـــث كـــانت عـــامرة باليهود ، وبها هيكلهم . وكان لهذه البلدة قديما شهرة حتـــى أن المؤرخين الأوربيين كانوا لا يلقبون ملك مصـــــر إلا بإسم " سلطان بابليون" .

وإشارة الرسول بطرس لمرقس ، عقب ذكره لبـــابل (١بط ٥: ١٣) يُدّعم قولنا لما هو معلوم مـــن أن مركــز القديس مرقس التبشيرى الخاص كان مصر.

وكتب الرسول بطرس رسالته الثانية ســـنة ٦٧ م . والأرجح أنها كُتبت حيث كتب الرسالة الأولى، لعدم ذكره تغيير المحل، كما كان يتوقع لو غيَّره. ويظهر أنه يعـد أن ترك مصر - لأول مرة - رجع إليها ثانية ، قبـــل موتـــه بقليل ، وقبل ذهابه لرومية.

وذكر يوسابيوس القيصرى فى تاريخه أن بطـــرس الرسول أقام فى رومية مدة ٢٠ سنة . وتبعه فـــى ذلـــك إيرونيموس . وأكثر الكُتّاب الرومانيين يصرحـــون بـــأن الرسول بطرس ذهب إلى رومية سنة ٤٢ م ولبث بها ٢٥ سنة يؤسس كرسيها ، ولكنه لا سبيل إلى تحقيق ذلك لأنـــه بحسبب إقرار الباباويين أنفسهم نعلم أن القيصر قلوديـوس أمر بنفى المسيحيين واليهود من رومية سنة ٤٥ م ( تحفة

الجيل فى تفسير الأناجيل ، للدبس ص ٧٦٩) فلا يتـــأتى إذن لبطرس أن يبقى برومية مع نفى اليهود والمســيحيين منها . وبحسب إقرارهم أيضاً نجد بطرس فـــى أورشـــليم سنة ٤٧م مودعاً بالسجن (تيسير الوســـائل فـــى تفســير الرسائل، ص ٧٦٩).

ويحسب شهادة الوحى الإلهى نجده ســنة ٥١ أو ٥٢م فى المجمع الرسولى بأورشليم (غلا ٢: ٩ و أع ١٥: ٧). ونجده في انطاكية سنة ٥٣ م . والرسول بولس لما بعــث حسب شهادة الباباويين ( تفسير الرسائل ص ٢) لم يذكــر أسم بطرس ولو كان بطرس فى رومية وقتئذ لمــا ألغــى أسمه ، مع كونه عموداً في الكنيسة ( غلا ٢: ٩) .

وأخيراً كتب الرسول بولس إلى تلميذه تيموثــاوس - من رومية - قبل استشهاده بقليل سنة ٦٨ م ، شاكياً مـــن ترك المسيحيين له، ماعدا القديس لوقـــا البشــير . فقـــال بصريح العبارة : " **لوقا وحده معى** " (٢ تـــى ٤ : ١٠ -

١١). فلم يذكر أسم بطرس . ولا يصح أن يترك بطرس بولس ، كغيره من ضعفاء الإيمان .

ومن الواضح أن بطرس الرسول لم يذهب إلى رومية إلا فى السنة الأخيرة لحياته . أى فى أوائل سنة ٦٧م ، كما قال العلاَّمة أوريجانوس :" **وصل إلى رومية فى آخر حياته**" (تفسير سفر التكوين ك ٣) وكان السبب الذى دعاه للذهاب إلى رومية ، لكى يُفنِّد ضلالات سيمون، لأن هذا الساحر كان قد أضل الكثيرين بخُبثِه ودهائه وسلب عقول الرومانيين بمكره ، حتى اعتبروه إلهاً معبوداً . وأقاموا له معبداً، وحَظِيَ بمقام رفيع لدى الطاغية نيرون ، حتى كشف الله الستار عن خداعه وحيله الشيطانية.

وذلك أن سيمون إدعَّى أنه فى إمكانه الصعود إلى السماء . وأمر الشياطين أن يرفعوه عن الأرض - على مرأى من الجمهور - فلما رأوه هكذا امتلئوا دهشة،

وصاحوا جميعاً :" عظيمة هى قوة سيمون" فأخذت الغـيرة الروحية الرسول بطرس . فرفع صوته إلى الله، طالباً منه أن يكشف عن زور وكذب هذا الساحر. وفى الحال وقـــع الشرير صريعاً على الأرض ، يجر ذيول الخزّى والعـــار وكانت رجليه قد انكسرت . فحُمِل إلى بيت قريـــب لــــه . ولكن لفرط خجله من الناس طرح نفسه من أعلى الســطح إلى أسفل . وحملوه ميتاً. ونال جزاء إثمه وعناده.

ولما قاوم الرسول بطرس الساحر وأمته، اغتاظ منــه الوثنيون ، وحاولوا إهلاكه. فألح عليه المؤمنون أن يخرج من رومية، بحجة أن حياته نافعة للمؤمنيـــن . فأطاعــهم وخرج . ولما انتهى إلى باب المدينة ، ظهر لـــــه الســيد المسيح، داخلاً فى الباب وحاملاً صليبه. فسأله :" إلى أيـن أنت ذاهب ياسيدى " ؟! فأجابه :" إلى روميـــــة لأُصلـب ثانية". ففهم بطرس أن السيد المسيح يوبخه على هروبـــه ويريد منه أن يمجده بموته . فعاد وقص على المؤمنيـــن

ماحدث . فقبض عليه الجنـــد - بــأمر نـيرون - وأُودِع السجن . ويقال إنه بقى فيه تسعة أشهر. وأُخيراً حُكِم عليه بالصلب مثل معلمه له المجد .

وقال أوريجانوس :" أنه حين قضى عليــه بــالصلب تذكَّر حين جحد مخلصه. فالتمس منهم أن يُصلب منكس الرأس ، كأنه لم يكن مستحقاً أن يُصلــب مثــل ســيده ". وارتأى البعض أن قول السيد المسيح ( فى يــو ٢١: ١٨ - ١٩) أنبأ بموته على هذه الكيفية. وهكذا كانت حالة موتــه على جبل الفاتيكان فى سنة ٦٨م وكان عمره بيــن ٦٥ - ٧٠ سنة . ونال إكليل الشهادة بالقرب من الوقتِ الذى ناله فيه الرسول بولس إكليله – بقطع نـــيرون رأســه- فــى جنوب روما.

**(ثانياً) أندراوس :** هو أخو بطرس الرسول . وكان قبــل ذلك تلميذاً ليوحنا المعمدان (يو ١: ٢٧- ٤٠) وهـــو أول تلاميذ السيد المسيح الذى أتى إليه بأخيه بطرس ، ولكنهما

لم يلازماه حينئذ ، بل عادا إلـــى الاشــتغال بشــباكهما . فوجدهما يسوع - بعد ذلك - على شاطئ بحيرة طبريـــة في الجليل ، فدعاهما إلى مُلازمته فتركا شباكهما وتبعـاه.. ولم يُذكر أندراوس فى الإنجيل إلا ثلاث مرات . عندمـــا سأل المسيح فيلبس مرة :" أين نبتاع خبزاً ليأكل هـؤلاء ؟ " فقال أندراوس :" إن هنا غلاماً معه خمسة أرغفة مـــن شعير وسمكتان " (يو ٦: ٥) .

ولما جاء أُناس معه من الأمم ، وسألوا فيلبـــس أيـــن يرون يسوع ؟ فأتى فيلبس وقال لأندراوس. وأنـــدراوس وفيلبس قالا ليسوع (يو ١٢: ٢١). وعندما سأل أنـدراوس يسوع - مع غيره من التلاميذ - عن خراب الهيكل قـائلين متى يكون هذا ؟" (مر١٣ :٣) ، وليس فى سفر الأعمـــال شئ من أعماله الرسولية .

وأما أوريجانوس، فذكر أنه بشرَّ فى سكيثيا . وذكـــر أيرينيموس أنه بشر فى أخائية بأســيا الصغــرى أيضــاً. والذى أخبرنا به التقليد والآباء والعلماء القدماء أنه بشــرَّ

في بلاد التتار(وسط آسيا) بعد أن اجتاز مبشراً الجاليات اليونانية على شاطئ البحر الأسود إلى بوغاز الدردنيل وفى هرقليا وأقبل إلى بيزنطية (القسطنطينية) وعبر من هناك إلى بلاد اليونان.

وقيل إنه هو الذى أسس كنيسة القسطنطينية ، وأنه رسم اسطاخيس أسقفاً عليها . وهو الذى سجل اسمه الرسول بولس (رو ١٦: ٩) ثم مضى إلى أخائية، ودخل مدينة باتراس وأخذ ينشر فيها بشارة الخلاص - معلماً الجميع كيفية الحصول على الحياة الأبدية - حتى اجتذب إليه جمعاً غفيراً . مما جعل والى المدينة - المدعو آجيا- يخشاه . وسأله :" هل أنت هو أندراوس الذى كان يقضى على عبادة الأوثان ، وعلّم الناس تعاليماً كاذبة ؟" . فأجابه القديس: " لا يليق بك أن تحكم على شئ قبل أن تتحقق مما حدث". وشرح له الديانة المسيحية حتى أتى إلى نقطة صلب السيد المسيح . فعند ذلك سخر به الوالى . وتم قول الرسول : " ذكر الصليب عند الهالكين جهالة " وهدده

بالصلب إذا لم يذعن له ، ويكّف عن هذا العمل، ويخضع للعبادة الوثنية.

أما القديس فلم يتأثر بتهديده ، بل كلَّمه بشجاعة . مُعلناً أنه لا يخاف الموت ، الذى يُعّده طريق الراحة، بل أنه يفرح به. فامتلأ الوالى غيظاً وأمر بصلبه . فسيق إلى مكان الصلب ، وكان فرحاً. وحينئذ صرخ الشعب قائلين: " ماذا صنع هذا البار صديق الله حتى يُصلب ؟!". أما الرسول فطلب منهم ألا يمنعوه عن الحصول على إكليل الشهادة .

وحينما رأى من بعيد الصليب المُهَّيأ له قال متهللاً : " السلام لك أيها الصليب الكريم الذى تقَّدس بأعضاء يسوع إلهى ، حين عُلّق عليه. لقد كنت قبل أن يعلق عليه ابن الله منظراً مكروهاً مُخيفاً. أما الآن فبعد أن أسلم رب المجد عليك روحه الطاهرة صرت منظراً مُبهجاً. لذا أُقبِل إليك بقلب مسرور. أنىَ أطلبك من زمن طويل وقد وجدتك الآن . فاقبلنَّى وقدّمنىَّ لربى، لكى يقبلنى فى ملكوته ، وقد خلصنى بواسطتك ".

ثم عُلِّقَ على الصليب بحبال، وبقى على تلك الحال يومين ولم يزل شاكراً الله تعالى ومُثبِتّاً الشعب على الإيمان . وكان عدد الحاضرين عشرين ألفاً . فصرخوا كلهم نحو الوالى قائلين :" لماذا تدع هذا القديس يموت "؟.

وخاف آجيا الوالى من ثورتهم عليه. فأمر بإنزال الرسول أندراوس من على الصليب. غير أن الجنود لما تقدمّوا وأرادوا أن يحلوه ، شُلّت أيديهم ، لأنه صلى حينئذ إلى إلهه قائلاً بصوتٍ مرتفع :" لا تسمح يارب لعبدك المُعلّق على الصليب – حباً فيك – أن ينزل عنه . وإنى مشتاق إليك. فإطلقنى بسلام". ففاضت روحه بيد مخلصه، وأُنزِل من على الصليب . واعتنى بدفنه المؤمنون. وبينهم امرأة الوالى " مكسيميلية " التى قد آمنت – هى وأخوه اسطراتكليس – لأنه شفاهما من علل كانا يكابدانها ، وبسبب ما شاهِداه من العجائب التى صنعها الله على يديه. وقد كسب – بصبره على الموت – إلى الإيمان كثيرين .

وكانت شهادته سنة ٦٢ م وأما جسده فنقله الإمـــبراطور قسطنطين الكبير إلى القسطنطينية.

وكان الصليب الذى صُلب عليه شكله (×) ومن ثـم ، يُنسِب إليه الصليب المعروف بصليب القديس أنـــدراوس. وقد اتخذه أهل إسكوتلانده شفيعاً لهم.

**ثالثاً - يعقوب ابن زبدى :**

هو أخو يوحنا الحبيب وكانت أمهما تدعى ســالومة . وقد لُقِبَّ بالكبير ، لأنه كان أكبر من الرسول يعقوب ابــن حلفى. وكانا من بيت صيدا. وكانت حرفته صيد الســمك مع أبيه وأخيه. وقد وجدهم المخلّص يصلحون شباكهم فى السفينة. فدعا يعقوب ويوحنا . فتركا أباهما فـــى الســفينة - مع باقى الأُجَراء - وتبعاه (مر ١: ١٩).

وهو أحد التلاميذ الذين أختارهم الـــرب ، لمشــاهدة بعض الحوادث. كحادثة شفاء ابنة يايرس وتجلّى المخلّص على الجبل ، ولما صلى فى البستان ليلة آلامه. ولما دخـل

يسوع قرية للسامرين ولم يقبلهم أهلها سأله يعقوب ويوحنا قائلين :" أتريد أن نطلب أن تـــنزل نـاراً مــن الســماء وتأكلهم؟" فزجرهما قائلاً :" لستما تعلمـــان مــن أى روح أنتما ؟" (لو ٩: ٣٥) وظن بعضهم أن هـــذا هــو ســبب تسميتهما " بوا نرجس " (أى إبنَّى الرعد) وقيل بل إشـــارة إلى قوتّهما فى الوعظ والإرشاد .

وقد طلبت أمه له ولأخيه يوحنا أن يجلسا عن يميـــن ويسار المسيح . فأوضح لهما شروط الإستحقاق للملكــوت (مت ٢٠ : ٢٠-٢٣) واشترك يعقوب مع التلاميـــذ فــى السؤال عن مصير هيكل أورشليم (مــــر ١٣: ٣) وكـــان مشتركاً مع الرسل فى الصلوات فى العِلّية ، بعد صعـــود السيد المسيح للسماء (أع ١: ١٣٩) .

وروى إيرونيموس (جيروم) أنه بشرَّ أسباط إســـرائيل الأثنى عشر المتشتتين فى العالم. والمُرّجح أنه بشرَّ اليهود فى فلسطين وسورية. وقيل إنه بشرَّ فى أسبانيا أيضاً.

ويبدو أنه حصر دائرة خدمته بين اليهود فقط . ولذلك حقدوا عليه ، وأوغروا صدر الملك هيرودس - المسمى أغريباس - ضده . فلما عاد إلى أورشليم قبض عليه وقتله بحد السيف - فى أورشليم - سنة ٤٢ أو ٤٤ م . وكان يعقوب ابن زبدى هو أول شهيد - مات على إسم المسيح- من الرسل . وكان يوحنا أخوه هو آخر من مات منهم ، وقال اكليمندس الإسكندرى ، إن الذى اشتكى على الرسول تاب وهو يسير فى الطريق معه واعترف بإيمانه. وطلب منه السماح . فصفح عنه يعقوب وقال له :" السلام لك ". وشاركه فى الشهادة . وتم دفن جسد القديس يعقوب فى أورشليم .

**رابعاً - يوحنا الحبيب :**

يبدو أن زبدى أباه كان غنياً لأنه كان عنده أُجَرَاء. وكان يوحنا من معارف رئيس الكهنة (لو٥: ١٠) وكان له بيت بأورشليم (يو١٩: ٢٨) وكانت أمه إحدى النساء

اللواتى رافقن المخلّص إلى صليبه، وأعددن لــه حنوطــاً (مت ٢٧: ٥٦ و مرقس ١٥ : ٤٠ و ١٦ : ١).

فمتى يدعوها أم ابنى زبدى، ومرقس يسمّيها "سالومة" ويوحنا لم يذكرها مع النساء الواقفات، بل ذكرهن جميعــاً، وأشار إلى أن من بينهن واحدة، قال عنها أنــها أخــت أم المسيح (يو ١٩: ٢٥) فاستنتج كثيرون بأن يوحنا هو ابــن خالة المسيح . وقال مفسر بروتستانتى عن قوله " أخـــت أمه" فى (يو ١٩ : ٢٥) " الأرجح أنها سالومى أم يوحنــا الإنجيلى، لكنه لم يذكر اسمها، كما امتنع عن ذكر اســمه فى بشارته. والذى يرجح أنها سالومة أن متى ذكر أنــها كانت بين النساء الحاضرات عند الصليب وقال إنــها :" أم ابنى زبدى " (مت٢٧: ٥٦) . (الكنز الجليل ، فى تفســير الإنجيل ، ج٢ ص ٥٤٤).[1]

---

(١) ولكن أغلب الآباء والمفسرين أشاروا إلى أنها أخت أم النـــور القديسة مريم وقالوا وأيضاً كانت زوجة لكلوبا (حلفى) أخ يوســف النجار.

وكان يوحنا وأخوه يعقوب شريكى سـمعان بطـرس فى الصيد (لو٥: ١٠) ووافق وقت دعوة يوحنا للتلمـذة، وقت دعوة سمعان (مت ٤: ١٨ -٢٢) ودعاه يسوع سـنة ٣١ م وكان عمره حينئذ - علـى الأكـثر - ٢٥ سـنة . فيكون هو أصغر الرسل . وقال القديس يوحنا فم الذهـب أنه كان تلميذ يوحنا المعمدان وهو الذى أرشـده للمسـيح بناء على ماورد فى (يو ١: ٣٧-٤٠).

وكان المُخلّص يحب يوحنا . وقد إتكأ على صـدره وقت العشاء (يو١٣: ٢٥) وحضر صلب المسـيح حيـن هرب بقية الرسل. ولهذا عهد إليه بكفالـة العـذراء أمـه وبقيت فى بيته فى أورشليم حتى ساعة نياحتها السـعيدة. (يو ١٩: ٢٥- ٢٦) ويرجح البعض أن ذلك لداعى قرابته له (متى ٢٧: ٥٦ و مر١٥: ٤٠) وزُعِم أنـه كـان هـو العريس ، فى العرس الذى تم فى قانا الجليل. ولكن مـن المؤكد أنه عاش بتولاً كل حياته، كما يُستنتج من خدمته .

وقد شاع بين الأخوة أنه لا يموت لمـــا قـال عنـه لبطرس : " إن كُنت أشاء أنه يبقى حياً حتى أجـئ فمـاذا لك". (يو ٢١: ٢٢) ولكن يظهر أن السيد المسـيح كـان يعني بقوله عن يوحنا أنه لا يموت أى :" لا يستشهد" لأنـه كان هو الوحيد الذى مات ميتة عادية، دون باقي التلاميذ.

وبعد قيامة المسيح كان يعقـوب وصفـا (بطـرس) ويوحنا ، مُعتبرِين أعمدة في الكنيسة (غلا٢: ٩) وبعـد أن قبلوا الروح القدس ، مضى بطرس ويوحنا إلي الـهيكل . فأبرأ المشلول (أع٣: ١) فكانت هذه الآية سبباً في إلقـاء القبض على بطرس ويوحنا في السجن ، لكنهم أخرجوهما في اليوم التالى (أع ٤: ٣) ولما ظلا يبشـران ، ألقوهمـا ثانيةً في السجن - مع باقي الرسل - ففتح مـلاك الـرب أبواب السجن. وأخرجهم . فعادوا يُعلمُّون فـي الـهيكل ، فاجتمع عليهم زعماء اليهود وأمروهم أن لا يتكلموا باسـم يسوع ، وأطلقوهم بعد ضربهم . فخرجوا فرحين . وظلوا

مبشرين . وكانت تجرى على أيديهم العجـــائب . ولقيـــهم بولس سنة ٥٠م . فأعطوه نصيبيه فى الخدمة (غلا٢: ٩).

ويرى العض أن يوحنا الحبيب فارق أورشليم ، قبـــل زيارة بولس الأخيرة لها ســـــنة ٥٨ م ( أع ٢١: ١٨) لأن أسمه لا يُذكر هناك ، ولكن يُحتَمل أنـــــه كـــان بـــها لأن المظنون أنه لم يفارق اليهودية إلا فى سنة ٦٢ م. أى بعـد انتقال السيدة العذراء ، التى كانت عنده وبالطبع كان ذلـك بعد تفرُّق الرسل ، وقبل خراب أورشليم.

ومن ثم قصد إلى آسيا الصغرى . فبشّر فيها بإيمـــان المسيح بغيرة شديدة، وصار أسقفاً على أفســـس . ونشـــر الإيمان بالمسيح هناك طولاً وعرضاً. ولم يكن ذلك قبـــــل سنة ٦٤ م إذ فى ذلك الوقت كان تيموثاوس أسقفاً عليـــها (اتى ٣: ١) ويُرجّح أن يوحنا الرسول صار مشرفاً عاماً على كنائس آسيا الصغرى ســــنة ٦٣ م بعـــد استشـــهاد تيموثاوس وبولس الرسول.

وفى ذلك الحين كتب رسائله الثلاث بين سنـــة ٦٨ ـ ٧٠ لبعض المؤمنين الذين سبق وآمنوا بواســـطته، ودخـــل بينهم : البيرنثيون والغنوسطيون، والمعلمون الكذبة.

وقيل إنه أسس كنائس برغامس وثيارتيرا وفيلادلفيـــا ولاودكيةونشر الإيمان فى أغلب مقاطعات آسيا الصغرى. فسمع به دوميتيانوس قيصر، الذى كــــان يبغــض ديــن المسيح بغضاً شديداً. فاســـتحضره إلـــى روميـــة مكبـــلاً بالقيود، وأمر بجلده. لتبشيره بإنجيل المسيح . ثم ألقوه فـــى قدر مملوء زيتاً وزفتاً يغليان . فلم ينلـــــه أذى ، فاغتـــاظ القيصر لذلك ونفاه إلى جزيرة بطمس (فى بحــــر إيجـــة) وهناك شاهد رؤياه العجيبة التى أعلنها الله له ، بينما كـــان فى الروح فى يوم الأحد.

وأقام الرسول يوحنا فى منفاه ، بين ســــنة ٩٥ و ٩٨م وعاد إلى كرسيه بأفسس - بعد موت دوميتيانوس - بـــأمر نيرفا قيصر. وفى ذلك الحين طلب منه المؤمنون أن يفنـــد

مزاعم أعداء كلمة الله الذين جدفوا على لاهوت المسيح . فكتب إنجيله وأرسله إليهم سنة ٩٨م وروى القديس يوحنا فم الذهب أنه صام وصلى مع المؤمنين كثيراً قبل شروعه في الكتابة . وأنه بعد انتباهه من سُباته ابتدأ بإنجيله قائلاً: " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الله الكلمة .. الخ" .

وقيل إن أعداء الإيمان امتحنوه بأن سقوه كأساً مملوءة سُماً قوياً ، لإثبات صحة إيمانه . فلم يؤذه سُمَّها . ولهذا يصورونه وبيده كأس فيها أفعى . ولم يوجه إليه الهراطقة سهام اضطهادهم إلا لكثرة مقاومته لهم وشدة غيرته على الأرثونكسية (التعاليم السليمة) وعظم محبته للمؤمنين ، الذين لم يكن يفتر عن تعليمهم وتهذيبهم، وتحذيرهم من التعاليم الغريبة . وقيل إنه دخل ذات يوم الحمَّام العام ، فلما رأى فيه كيرنثيوس الهرطوقي ، صاح برفقائه قائلاً : " لا ندخل حيث يوجد عدو المسيح لئلا يسقط الحمام علينا".

ومما يروى عن شدة ميله واهتمامه بخلاص الخُطـاة ، وإنقاذ الهالكين من العذاب الأبدى، أنه فى إحــدى الأيــام ذهب ليفتقد كنيسة فى إحدى المدن المجـــاورة لأفســس، فوجد بين الشعب شاباً ظريفاً . فطلب إلــى أســقف تلــك الكنيسة أن ينتبه إليه ، ويعلمه مبادئ الإيمان المسيحى .

فأخذه الأسقف إلي بيته. وبعد أن دربّه على شـــعائر الديانة المسيحية . وعلمه كيف يحب الله ويخدمه، عمَّـــده باسم الثالوث الأقدس وتركه . فلما كبر الشاب - ونما فــى القامة - أخذ يعاشر زُمرة من الأشرار فصـــار مثلــهم . وتقدم فى الشر شيئاً فشيئاً لدرجة إنه صار رئيساً لعصابــة من اللصوص .

فحدث بعد ذلك أن يوحنا الرسول زار تلــك المدينــة ثانيةً . ولما بلغه خبر هذا الشاب - وكيف سقط - حـــزن جداً، وسعى فى ردّه. فطلب فرساً، ورجلاً ليدلـــه علــى الطريق . وذهب بسرعة قاصداً الجبل حيث ، كان الشـاب المذكور مقيماً مع رفقائه اللصوص. وبينما كـــان ذاهبــاً

إلتقى به بعض أولئك اللصـــوص. فأمســكوه يقصـــد أن يسليوه : فطلب منهم أن يأخذوه إلى رئيسهم فأخذوه .

ولكن حالماً وقع نظر الشاب الشرير على الرســول ، خجل جداً وأراد أن يركض ويختبـــئ. فأســرع وجــرى خلفه، وهو يصرخ : " لماذا تهرب مني يا ابني ؟ . أشـفق على شيخوخة أبيك الذى لا مُعين له . وأعلم أن المســيح قد أرسلنى إليك ".

فلما سمعه يناديه هكذا وقف – وعلامات الحزن على وجهه – ثم رمى أسلحته ، وطرح ذاته أمام الرسول باكيـاً - بقلب مكسور - فحالاً رفع الرسول عينيه إلـى السـماء وصلى لأجل هذا الشاب . وأخذ يعظه وينذره، ويصلـــى معه، إلى أن تاب توبة حقيقية . وطلب مغفـــرة خطايـاه بواسطة دم المسيح .

وقيل إن يوحنا الرسول لما شاخ وصار لم يعد يمكنــه أن يمشى، صار المؤمنون يحملونه إلى الكنيســة. وكــان

يقتصر في وعظه على قوله :" يا أولادى أحبوا بعضكم بعضاً". فلما ضجروا من تكرار هذه الجملة أجاب : " هذه هي وصية الرب، وكفى بذلك طاعة، إذ تتحصر في المحبة جميع الوصايا ".

وطالت حياة يوحنا الرسول حتى أنه لم يبق أحد من الرسل بعده. وعاش من العمر نحو مئة سنة – بشيخوخة مقدسة – وكان يُروض نفسه وينزهها أحياناً بأمور غير مخالفة للآداب .

فقد رُوى عنه أنه بينما كان ذات يوم فرح باللعب مع حجل (الكروان) رآه صياد فتعجب من ذلك وهو شيخ يلعب بطائر !! فقال له الرسول : " ما هذا الذى فى يدك؟ " فأجابه : " قوس " . فقال له الرسول : " لماذا لا تبقيها مشدودة دائماً ؟ " فقال له الصياد " إن دوام الوتر مشدوداً يرتخّي" . فأجابه يوحنا : " ولهذا السبب أُريّح نفسى فى بعض الأوقات بالرياضة .

والرسول يوحنا، هو التلميذ الوحيد الذى مات بدون استشهاد . وذهب بعض قليلى الإدراك أن يوحنا الإنجيلى

لم يمت بل هو حى كأخنوخ وإيليا . استناداً إلى ما ذكـــر سابقاً . غير أن هذا القول باطل بـــالمرة . فـــإن القديـــس أثناسيوس فى عظته الثالثة والأربعين يقـــول :" إن قبـــور القديسين. والشهداء باقية حتى يوحنا هذا. وقـــد رأيناهـــا ومنها قبر بطرس وبولس فى رومية . وقبر يوحنـــا فـــى أفسس ".

ويقال أيضاً إنه فى يوم نياحته أخذ تلاميذه إلى الجبـل وأمرهم أن يحفروا قبراً. ثم دخل إليه فحجبه نور عنـــهم، فلم يروه ثم ارتفع النور وإذا به ميِّت. وفى مصادر أخرى أنه رقد فى حفرة وجاء إليه تلاميذه فوجدوه قد تنيَّح .

**(خامساً) ـ القديس فيلبس :**

هو الرسول الذى أجمع الإنجيليون الأربعة على ذكـره فى العدد (الترتيب) الخامس من الإثنى عشر تلميذاً. وكان من بيت صيدا . ودعاه المسيح فى غد اليوم الذى أتى فيـه أندراوس إلى المسيح. وهو غير الشماس الذى ذُكر إســمه

فى أعمال الرسل (٦: ٥ - ٢٨) ثم وجد فيليس الشماس صديقه نثنائيل فقال له " وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء : يسوع ابن يوسف الذى كتب عنه موسى والأنبياء : يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة " (يو ١: ٤٥) فيظهر من ذلك أنه كان من أتقياء إسرائيل المنتظرين مجئ المسيح المخلص ، ولأجل ذلك كان متهماً بقراءة الأسفار الإلهية . واستنتج منها أن يسوع الذى من الناصرة هو نفسه المسيا (المسيح) المنتظر .

وقال إكلمندس الإسكندرى :" إن فيلبس هو الذى قال للمخلّص عندما دعاه ليتبعه :" أئذن لى أن أمضى أولاً وأدفن أبى ". فقال له يسوع :" اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم " (مت ٨: ٢١-٢). ولما أراد المخلّص أن يُطعم الخمسة آلاف رجل ، سأل فيلبس لأنه كان يومئذ بقرب وطنه ليجربه :" من أين نبتاع طعاماً ليأكل كل هؤلاء ؟ " فأجاب فيلبس (بطريقة إحصائية كمية) :" لا يكفيهم خبز

بمئتى دينار، ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسـيراً". (يـو ٦:
٧) ولما أراد بعض اليونانيين أن يروا يسوع قيـل إنـهم
أتوا إلى فيلبس قائلين : " نريد أن نرى يسوع " . فـأتى :
"فيلبس إلى أندراوس وأعلما الرب يسوع ، ولكنه اعتـذر
بأنه فى الساعات الأخيرة (وسـيتفرغ) لعملية الصلـب
والفداء (يو ١٢: ٢٠–٢٧) .

وقال فيلبس للسيد المسيح: " أرنا الآب وكفانا "، فقـال الرب يسوع : " الذى رآنى فقد رأى الآب " (يو ١٤: ٩).

وعقب صعود السيد المسيح ، كانت وجهته فى خدمة الإنجيل فى فريجية (ولاية بآسيا الصغرى) وقيل إنه لبث يخدم الإنجيل فى تلك الأماكن ، وبعدها ذهب لتلك الغايـة إلى بلاد العجم (إيران) وماجاورها إلى أن أتى أخيراً إلـى مدينة تسمى " هيرابوليس" فى آسيا الصغرى. فوجد أهلـها متعبدين لأفعى باسم المشترى (إسم يطلقه العـرب علـى أحد الأفلاك السماوية) فحزن الرسول لما وصلوا إليه مـن الانحطاط التام ، فى الجهل الروحى العميق. ولذلـك بـدأ

يرشدهم إلى العبادة الحقيقية للإله الحقيقى يسوع المسيح، مبرهناً لهم ذلك بالأدلة القوية، حتى آمن به كثيرون ونمت المسيحية فى تلك الضواحى.

إلا أن هذا العمل لم يكن يُرضى كهنة الأوثان الذين يرتزقون من الجهل ، ويستفيدون من الغباوة . وأن معرفة الناس للنور تكشف عن جهلهم وضلالهم. فتحركت قلوبهم القاسية على الرسول ، وقبضوا عليه لكى يهلكوه. وقال بارونيوس :" إن فيلبس الرسول بينما كان يبشر فى (هيرابوليس) فى آسيا الصغرى ، قبض عليه ثم عُلق على الصليب ورُجم بالحجارة ".

وجاء فى كتاب آخر أنه حصل - عند صلبه - زلزال فى (هيرابوليس) فى فريجية ، دمّر كثيراً من البيوت، وابتلعت الأرض كثيرين، حيث ذُعِر جميع أعدائه وهربوا تاركين إياه معلقاً على الصليب. فأتى إليه المؤمنون، لكى ينزلوه من فوق الصليب. فطلب إليهم أن يتركوه ليتمم جهاده المقدس. ومن ثم تركوه حتى أسلم روحه منتصراً بعدما سلم رعيته ليد الله . وكانت شهادته سنة ٨٠ م .

ويقال أن عمره حينئذ كان سبعة وثمانون سنة . وجاءت أخته ماريمينا - التى كانت تصحبه فى أسفاره- وأنزلت جسده من فوق الصليب . ودفنه المؤمنون بإكرام.

**(سادسا) - القديس برثولماوس :**

قيل إنه إسم ثان لشخص يدعى فى موضع آخر " **نثنائيل** " والبرهان على ذلك هو ذكر فيلبس ونثنائيل معا فى إنجيل يوحنا (ص١: ٤٥-٥١) وذكر فيلبس وبرثولماوس معا فى الأناجيل الأخرى (مت ١٠: ٣ ومر ٣: ١٨ ولو٦ : ١٤) ويرجح بأنه كان ذا اسمين ، كغيره من الرسل .

فضلا عن ذلك ، فإن إسم برثولماوس، ليس علما، بل معناه ابن ثلماوس فيكون هو نثنائيل ، الذى أخبره فيلبس أن المسيح المنتظر ظهر من مدينة الناصرة فقال له " نثنائيل " هل من الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح ؟". ولما رآه يسوع قال عنه :" هوذا إسرائيلى حقا لا غش فيه" . فقال له نثنائيل من أين تعرفنى ؟" . أجاب يسوع

وقال له :" قبل أن دعاك فيلبس - وأنت تحت التينة - رأيتك ". فأجاب وقال له :" يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل ". أجاب يسوع :" هل آمنت لأني قلت لك رأيتك تحت التينة ؟ سوف ترى أعظم من هذا " (يو ١: ٤٥ - ٥٠) ومعنى قول المسيح " **وأنت تحت التينة رأيتك** " يُفهم منه أنه محل التينة لم يكن يُرَى من هناك . ويلزم منه أنه حدثت لنثنائيل حادثة ذات شأن تحت تلك الشجرة، حتى خصها المسيح بالِذكر. ولعله كان يصلي أو يعترف بإثم أو ينذر نذراً.[(١)]

وكان القديس برثولماوس من الجليل . ولم يُذكَر بين الرسل باسم نثنائيل إلا بعد قيامة المسيح (يو ٢١: ٢٢) وذهب المؤرخ يوسابيوس -وآخرون من العلماء والقدماء-

---

(١) ويذكر تقليد قديم أن أمه خبأته في سلة عندما كان جنود يقتلون الأطفال ، بناء على أمر هيرودس الملك، ولم يعلم أحد بهذا الأمر، إلا الله وحده .

أنه بشّر بالإنجيل فى الهند ، وأيضاً فى بلاد العرب وفارس. ويُقال إنه فى القرن الثالث وُجد آثار للديانة المسيحية فى الهند . وأن نُسخة من إنجيل متى بالسريانية كانت محفوظة باعتناء عند الأهالى الذين كانوا يقولون – عن آبائهم – بأن القديس برثولماوس تركها هناك، عندما أتى إليهم وبشّرهم بالإنجيل.

ثم سافر برثولماوس إلى فريجية ولقى القديس فيلبس فى هيرابولس. ولا نعلم بالتحقيق كيفية موته ، ولا المكان الذى مات فيه . فالمؤرخون اليونانيون المتأخرون أشاروا أنه صُلِب . وذهب آخرون أنه سُلِخ حياً. وقال غيرهم أنه استشهد بقطع الرأس. وعن بعضهم قيل إنه تنيَّح سنة ٧١م فى أرمينية .

**(سابعاً) ـ القديس توما :**

وهو توما بالعبرانية وديديموس باليونانية (ومعناه التوأم). وقد أُطلِق عليه هذا الأسم فى (يو ١١ : ١٦ و ٢٠

: ٢٤) وفى تفسير الأسماء أن توما بالعبرانية معناه فصوص أو التوم . وقيل إنه وُلِد مع أخ غيره فى بطن واحدة (توأم) . ولا شك فإنه جليلي – كسائر الرسل – وإن لم يُعلَم مكان ولادته.

لما أراد المخلِّص أن يمضى ليُقيم لعازر ، قال توما للتلاميذ :" لنذهب نحن أيضاً لنموت معه". وقد سأل يسوع: " أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو١٤: ٥-٦).

وقد أعلن توما لباقى التلاميذ عدم تصديقه قيامة المخلص يسوع ، لما ظهر له المجد للتلاميذ -وهو غائب- وفى الأحد التالى (أحد توما) ظهر له الرب مرة أخرى. وأراه يديه ورجليه وجنبه فآمن (يو٢٠: ٢٤-٢٩) .

كما كان توما مع الذين ظهر لهم يسوع – بعد قيامته – وهم يصيدون السمك في بحيرة طبرية، وأكل أمامهم (يو ٢١) تأكيداً لقيامته فعلاً.

أما موضع خدمته فمختلف عليه . إذ قيل إنه بشَّر فى مصر والحبشة . وغيرهم قالوا بشَّر فى الهند ، حيث ذكر

البرتغاليون – فى القرن الثالث عشر – أنهم وجدوا جسده هناك . وأن طائفة قديمة تُعرف " **بمسيحيّى مار توما** " كانت فى القرون الوسطى كثيرة العدد، فى فارس – ولا يزال باقياً منها فى الهند – جماعة – تعترف بأن توما هو مؤسسها.

وروى أحد المؤرخين أن توما لقى المجوس الثلاثة الذين أتوا ليسجدوا للمسيح فى بيت لحم بعد مولده. فعمدّهم . وعاونوه على نشر الإيمان المسيحى فى بلادهم. وقال المؤرخ السريانى ابن العبرى، أن توما الرسول بشَّر بالمسيح فى الهند أيضاً . وأنه مات هناك شهيداً، فى مدينة أسمها كلامينا . وأن رُفاته تم نقله إلى الرُها بشمال شرق سوريا. وعن سبب سفره إلى الهند، قيل إن أحد تجار الهند صادف توما فى بلاد المشرق وظنه عبداً فاشتراه وذهب به إلى بلاده (والأصح أنه هو الذى باع نفسه كعبد ليسافر للخدمة فى الهند). وكان صديقاً للملك

فأهدى الرسول إليه. فمال إليه نظـــراً لتقـــوّاه وفضيلتـــه. وسأله الملك أى الخبرات يعرف فقال له " تشيد القصـــور". وأتفق أن الملك كان مسافراً لجهة ما، فأعطاه مبلغاً وافـــراً من المال، ليشيّد له به قصـــراً بديعـــاً. فـــأخذه الرســـول ووزعه على الفقراء والمساكين.

ولما أتى الملك سأله عما فعل بالمال ؟ فأجابه :" إنـــى وضعت بعض أساسات القصر". كما أنه يحتاج إلى مبلـــغ أكثر. فغضب عليه جداً وسلخ جلده. ولكنه لم يمُت وكـــان إذا وضع الجلد – على أى مريض- تهرب منه أوجاعه!!.

وحدث أن أخا الملك أصابه مرض شديد ، وأشـــرف على الموت. فحلم أنه شاهد قصراً فخماً. فســـأل عنـــه . فقيل له :" هذا هو القصر الذى بناه العبد العبرانى للملـــك". ولما انتبه روى الخبر لأخيه الملك فسُر بالرسول وآمـــن بالمسيح، وترك له الحرية ليبشر كما يشاء.

وقيل إن الذى دعا الملك إلى الإيمان أكـــثر هـــو أن أمواج البحر ألقت بخشبة ضخمة على الشاطئ . ولما لـــم

يقدر رجال الملك على رفعها طلب إليه الرسول أن يسمح له لينقلها وحده مشترطاً عليه الإيمان، إذا استطاع. فرسم الرسول علامة الصليب ونقلها . فاندهش الملك ورجاله وآمنوا . واستخدمها القديس توما فى بناء كنيسة (فى ساحل ملبار بالهند) .

. وروى أوسابيوس المؤرخ فى تاريخه (ك ١ ف ١٣) نقلاً عن مخطوط كان فى مكتبة كنيسة أورفا، أن هذا الرسول أرسل أحد التلاميذ السبعين -المدعو تداوس- إلى مدينة أورفا (فى أرمينيا) ليشفى الملك أبغروس[٢] (أبجر) ويعلمه قواعد المسيحي . ثم أنطلق من هناك إلى الحبشة. كما خدم فى بلاد فارس ، وفى بلاد الصين والهند . وغرس فيها تعاليم المسيح. وهذا التقليد القديم يثبت بشهادة

---

(٢) تذكر بعض المصادر أن أبجر الملك قد أرسل للرب يسوع قبل صلبه، يطلب شفاءه من مرضه، فوعده الرب بإرسال له أحد تلاميذه . وبعد يوم الخمسين تم إرسال القديس تداوس الرسول إليه.

مسيحى ملبار بالساحل الغربــى بالــهند . فــإن كــيرلس اليسوعى يذكر فى كتابه عن بلاد الصين أن البرتغــاليين- عند مرروهم بمسيحيى ساحل ملبار وجدوهم يقولون - فى كتاب صلواتهم باللغة السريانية - ما ترجمته إن القديــس توما أجتذب إلى الإيمان المسيحى الحبشة والصين وفارس.

وفى سنة ١٦٢٥م وُجِد فى بلاد الصين صليبــاً مــن حديد يرجع تاريخه لسنة ٢٣٩م . أما كيفية موت الرســول فهو أن عيدة وكهنة الأوثان الهنود ، لمــا رأوا الكثــيرين يؤمنون وثبوا عليه وأماتوه بطعنه الحراب.

**(ثامناً) - القديس متى :**

وُلِد فى الجليل، وكان عشاراً يجبى ضرائب الجمارك على بحيرة طبرية (مر٢: ١٤) وسماه بــاقى الإنجليين " لاوى" . وسُمىَّ " **ابن حلفى** " أيضاً، وسمىَّ نفســه فــى إنجيله متى العشار، تواضعــاً منــه ، وتعظيمــاً لنعمــة المخلَّص وإحسانه عليه بنعمة الإيمان (مت٩: ٩).

وكان متى يربح من وظيفته أموالاً طائلة، ولكن لما رآه المسيح جالساً عند مكان الجباية. قال له " اتبعنى" فقام على الفور وتبعه (مت ٩:٩) أى أنه بنعمة الله ترك وظيفته، حباً فى المسيح. وقَبِل دعوته حالاً . وصار تابعاً أميناً له ، وشاهداً لمعجزاته .

وقد أقام للمخلِّص وليمة . ودعا إليها أصحابه العشارين ليلتقوا بالمسيح . وقد ظن البعض أنه أخو يعقوب الصغير (ابن حلفى) استناداً إلى وصفه بابن حلفى، ولكن ذلك لا أصل له . وتشابه الأسماء كثير كما نعلم .

ولبث الرسول متى فى اليهودية مدة تبلغ العشر سنوات - بعد صعود المخلِّص - وهو يباشر خدمة الإنجيل. ولما عزم أن يترك اليهودية أراد أن يخلف لبنى قومه اليهود كتاباً يتضمن تاريخ المسيح، مع النبوات التى تدل على حقيقته –من العهد القديم– لفائدتهم، فكتب إنجيله المعروف باسمه باللغة الأورشليمية (الآرامية وهى من

أصل عبرى ممزوج بالسريانى) التى كان يتكلم بها السـيد المسيح واليهود حينذاك . وتركه لهم . وقيل أن ذلك كـان سنة ٣٩م ، وقيل عام ٤١م .

وبعد ذلك ذهب إلى بلاد فارس . وقيـل إنـه بشّـر ومات فى الحبشة (أثيوبيا الحالية) وهو القول المُسجّل فـى شهادات الآباء القدماء.

وروى أنه وهو فى طريقه إلى بلاد الحبشـة التلقّـى بالرجل الذى آمن بكرازة فيلبس الشماس ، وهو "**الخصـى**" فرحّب به وسهل مهمته. وقد وجد من أهل تلك النواحـى من يأكلون لحوم البشر . فاجهّد نفسه حتى أباد تلك العـادة الوحشية, إلا أن القديس قد عانى فى تلك البلاد أتعاباً شاقة وبالأخص فى مدينة نادايير التى وجد فيها ساحرين كانـا قد خدعا أهلها بالخيالات الشيطانية الخبيثـة . فقاومـهما الرسول وفنّد كذبهما . وكشفهما لدى القوم هناك ، حتـى رذلوهما وتبعوا متى الرسول .

وأما هما ، فلكي ينتقما منه - جلبا بقـــوة الســحر - تنينين هائلين ليخيفا المدينة. فاستغاث القديس بقـــوة الله . فأطاعا ورجعا من حيث أتيا. واتفق أن إحدى بنات الملـك ماتت فاستحضروا الساحرين ليقيماها من الموت فلم تقـم. ثم أحضر الملك ، الرسول متى ، وطلــب مــن المســيح مساعدته وصلى عليها ، فقامت من الموت فــآمن الملـك ورجال دولته وجانب عظيم من الرعية .

وإذ كان الرسول يعظ يوما عن العفة ويحبب النــاس في الفضيلة والطهارة ويطعن الرذيلة والفساد أثر كلماتــه على قلب "**أفجانيا**" ابنة الملك. فتقدمت نحوه ونذرت نفسها عروساً مقدسة للمسيح . وتبعتها في ذلك بنات الأشــراف وكرسّن حياتهن للمسيح، فحدث أنه بعــد مــوت الملـك اختطف أخوه العرش ، بدون مسوغ شرعي ، ورغب فـي أن يتزوّج بأفجانيا ، ولية العهد . فرفضت طلبه وأعلمتــه بأنها عروس المسيح. وأنها أحبته بديلاً عن سائر ملــوك العالم .

ولما لم تذعن له ، أحضر الرسول ، وطلب إليه بــأن يلزم تلميذته لترضى به زوجاً. فبدأ الرسول يُثبّت تلميذتـــه على حياة العفة وعلى عبادتها المستقيمة حتى اغتاظ الملك الشرير، فأرسل له الجند ليمتوه. وقيــل إن المضطـــهدين أضرموا حوله ناراً فانطفأت بصلاته. ولكن فى الحقيقـــة أنهم ضربوه ضرباً مؤلماً حتى أمـــــاتوه . ونـــال إكليــل الشهادة سنة ٩٠ م وقيل إنهم طعنوه بالحربة ، أثناء صلاة القداس.

أما افاجنيا فأحضر لها الملك السحرة ليميلـــوا قلبــها إليه . فلم يقدروا على ثباتها. ولما عزم على قتلها اعــتراه مرض شديد ، فقتل نفسه ، ومضى إلى الجحيم .

**(تاسعا) - القديس يعقوب بن حلفى :**

إن كثيرين من الكُتّاب الكنسيين الغربييـــن يخلطـــون بين المدعوين باسم "**يعقوب**" من الرسل الأثنــــــى عشــر. فيعضهم يقولون إنهم إثنين . وآخرون يقولون إنهم ثلاثة . وأن الثالث هو من السبعين رسولاً. وغيرهم جعـــل كــل

إشارة فى الكتاب إلى يعقوب علماً لشخص خاص . فقــالوا إن المذكورين فى الإنجيل باسم يعقوب سبعة.

.. غير أن الحقيقة ، إن العهد الجديد لم يذكــــر بيـــن تلاميذ المسيح ، باسم يعقوب إلا شخصين فقـــــط. وإنمـــا حصل الارتباك فى معرفتهما لكثرة الألقاب والأوصــــــاف التى ذكروها لكل منهما.

فأولهما يعقوب بن زبدى وقد ذكر تاريخه ، والثــــانى يعقوب بن حلفى (وحلفى دُعَى أيضاً كلوبا وهـــو الأســـم اليونانى، وحلفي هو نفس الأسم بالآرامية) **ويُلَّقب بالصغير** (مر١٥ : ٤) تمييزاً له عن يعقوب الكبير ابــــن زبـــدى. وأمه تدعى مريم زوجة كلوبا أو حلفى (يو١٩: ٢٥).

أما إطلاق لقب أخى المسيح علـــــى يعقـــوب فعلـــى مايرجح أن مريم أمه كانت قريبــــة لأم المســـيح وذكـــر هجيسيس (المؤرخ اليهودى) أن حلفى كان أخـــاً ليوســـف النجار خطيب مريم أم المسيح. ويظــــهر أن نفـــس هـــذا السبب والتشابه بين اسمى أم المســـيح وأم يعقـــوب قـــاد

اليهود إلى الوقوع فى خطأ القول عن المسيح :" أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم ؟ وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟" (مت ١٣: ٥٥) فلا يمكن أن تكون مريم المذكورة هنا سوى زوجة كلوبا .

كما يتضح ذلك لمن يتأمل فيما جاء عنها فى الإناجيل الأربعة. فمتى يقول عن النساء اللواتي كن عند صليب المسيح :" وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابنى زبدى" (مت ٢٧ : ٥٦) .

وقال أحد مفسرى البروتستانت ، عن مريم أم يعقوب ويوسى : " هى إمرأة كلوبا " ( يو١٩: ٢٥) وكلوبا هو حلفى (مت١٠: ٣) " (الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج١ ص٤٢٧) ومارمرقس يقول : " وكانت أيضاً نساء ينظرون من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع ... وبعدما مضى السبت[1]. اشترت مريم المجدلية

---

(١) كان اليوم عند اليهود يبدأ من الساعة ٦ عند الغروب ، إلى الساعة ٦ عند غروب اليوم التالى.

ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا " (مر ١٥ : ٤٠ - ٤٧ ، ١٦: ١) .

والمفسر البروتستانتى يقول عن يعقــوب الصغـير إنه: " هو ابن حلفى - أو كلوبا - وهــو كــاتب الرســالة المنسوبة إليه ولقب بالصغير تمييزا له عن يعقــوب بــن زبدى " (الكنز الجليل ج ١ ص ٥٥٦) وفى الإنجيــل ذى الشواهد ، طبعة الأمريكــان ببيروت، وضعــت أمــام (مر ١٥: ٤٠) إشــارة إلــى (مــت ١٣: ٥٥) إذن فــهم مقتنعون بأن أم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، هى غـير أم المسيح.

ويقول لوقا :" وكانت مريم المجدلية ويونا ومريــم أم يعقوب - والباقيات معهن - واللواتى قلن هــــذا للرســل" (لو ٢٤ : ١٠).

فثبت من هنا أن مريم زوجة كلوبا (وأخت أم النــور) هى زوجة حلفى ، ونسب إليها إبنان : يعقوب ويوسى .

فيعقوب إذن هو ابن حلفى . وبالتالى هو أحد التلاميذ الأثنى عشر (مت١٠: ٣) وقال المفسر البروتستانتى عن يعقوب بن حلفى " حلفى فى اليونانية ككليوبا بالسريانية " (يو١٩: ٢٥) وكان ساكنا فى أورشليم (أع ١٥: ١٣) وهو كاتب الرسالة المعروفة برسالة يعقوب بالاجماع " (الكنز الجليل ج ١ ص ١٣٤) .

وفى (لو٦: ١٦، أع١: ١٢) أن يهوذا - أحد الرسل الأثنى عشر - وهو أخو يعقوب . والمفسر البروتستانتى قال فى شرح مت١٠: ٣ عن لباوس الملقب تداوس " ذكر مسمى بهذا اللقب (فى مرقس ٣: ١٨) . والمرجح أنه هو المشار إليه بقول يوحنا البشير: " يهوذا ليس الأسخريوطى" (يو١٤: ٢٢) .

ومن قائمة أسماء الرسل فى لوقا ، نستنتج أنه هو أخو يعقوب بن حلفى . وأنه هو كاتب الرسالة المعروفة برسالة يهوذا" (الكنز الجليل ج١ : ١٣٤) فمن هذه

المقارنات - ومما كتبه المفسرون البروتستانت - نفهم أنهم يعتقدون بأن مريم زوجة كلوبا هى أم ثلاثة ممن ذكر اليهود أنهم أخوة المسيح. والثلاثة هم **يعقوب ويوسى** - حيث ذكر صريحاً أن زوجة كلوبا أو حلفى أمهما - ويهوذا ، حيث يُصرح الكتاب بأنه أخو يعقوب ابن حلفى. فلم يبق أحد لم يذكر من أولئك الأخوة غير سمعان . وعدم ذكره لا ينقض كل هذه الأدلة القوية.

وأخيراً يميز يوحنا الإنجيلى مابين مريم أم المسيح ومريم زوجة كلوبا وأم يوسى وسمعان ويهوذا بقوله : " كانت واقفات عند صليب يسوع أمه ، **وأخت أمه زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية** " (يو١٩ : ٢٥) فإذن ماقاله اليهود عن المسيح بأنه أخو يعقوب ويوسى . الخ . هو من باب الخطأ المشتهر. كما قالوا أنه ابن النجار. وهو لم يكن إلا ابن الله . إذاً كان بعض الرسل أشار إلى يعقوب بأنه أخو الرب ، فمعناه أنه قريبه (ابن خالته) أو المشهور بأنه أخوه (مثلما قيل عن لوط أنه أخو إبراهيم، وكان الخليل عمه).

والمعروف أن هذا الرسول يعقوب بن حلفى، هو عينه الذى كان أسقفاً لمدينة أورشليم، والذى قال بطرس عنه بعد خروجه من السجن :" أخبروا يعقوب والأخوة بهذا " (أع ١٢: ١٧) وكان رئيس المجمع الرسولى الأول، الذى عُقد بأورشليم وارتأى رأياً منع الأنشقاق بين الحزبين اليهودى والأممى (أع١٥) . ويوضح هذا الرسول بولس إذ يقول عن يعقوب أسقف أورشليم " بأنه أخو الرب" (غلا ١: ١٨ - ١٩) وهو المعتَبر من أعمدة الكنيسة (غلا ٢: ٦) وحين رجع بولس من رحلته الأخيرة للتبشير - إلى أورشليم - آخر مرة ، لكى يخبر الكنيسة بنجاحه بين الأمم، كان يعقوب من جملة الذين إلتقوا به. واعتمد بولس رأيه ، فى أمر تصرُّفه يومئذ (أع ٢١: ١٨).

ويسمى - فى الكتب التاريخية - بالبار والصديّق ، لاستقامة سيرته. وقيل عنه أنه كان يصلى كثيراً حتى خشنت ركبتاه وتصلّبتا وصارتا كرُكَب الجمال . وهو الذى ظهر له الرب وحده (اكو١٥: ٧) ودعاة للتكريس.

ويروى أيرونيموس عن تقليد قديم تعـهد أن لا يـأكل ولا يشرب إلى أن يقوم المسيح من الموت. ولذلك ظـهر له المسيح بعد قليل من قيامته. وهو الذى كتـب الرسـالة المعنونة باسمه سنة ٦٢ من أورشليم إلى الأثنـى عشـر سبطاً الذين فى الشتات (يع ١: ١) وكلامها قوى ومؤثـر ويُشبه نفس كلامه فى المجمع الرسولى ، فـى أورشـليم ٥٢م (أع ١٥: ٢٣- ٢٩).

وأما مركز عمل هذا الرسول فهو أورشليم. حيث كان مقيماً دائماً . وكان معتبراً بين اليهود، وله كرامة بينـهم حى أنه لما أصابهم الجدب - لتأخر المطر عنهم - طلبـوا إليه أن يصلى إلى الله فطلب إلى الـرب يسـوع . وفـى الحال أنهمر المطر بكثرة عظيمة أعادت الخصـب كمـا كان. وعلى أن هذا لم يق القديس شر الخبثاء من اليـهود ، ولم يحفظه من حسدهم .

فقد روى يوسيفوس المؤرخ اليـهودى أن حنـان - الذى كان فى عهد المخلّص رئيس كهنة - انتهز فرصـة

وفاة منستس والى اليهودية ، وتأخر خليفته عن الوصول إلى أورشليم ، وجمع مجمعاً . واستحضر يعقوب إليه وشكاه بمخالفته الشريعة الموسوية . وقضى عليه بالرجم فأصعدوه على إحدى شرفات الهيكل . وسألوه عن رأيه فى الرب المسيح . فقال :" إن يسوع المسيح الذى تقولون أنه ابن إنسان ، هو جالس عن يمين العظمة ، لأنه ابن الله . وسوف يأتى على سحب السماء ليدين العالم " .

فكثيرون من الذين سمعوا ذلك ، تهللوا وفرحوا وأخذوا يصرخون : " أوصنا لابن داود " . فغضب الكتبة والفريسيون من ذلك ، وقال بعضهم للبعض الآخر : "لنصعد إليه ، ولنرّمِ به إلى أسفل الهيكل . لنرمِ يعقوب الصدّيق" . فتمموا القول بالفعل وأخذوا يرجمونه . أما هو فلم يمت سريعاً . ثم التفت حوله وركع وقال : " أسألك أيها الرب الإله أن تغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يصنعون".

وبينما كانوا يرجمونه تقدم أحـــد الكهنـــة الواقفيـــن وصرخ قائلا : " ارفعوا أيديكم . ماذا تفعلون ؟! إن يعقـوب الصديق (= البار) يصلـــى لأجلكـم " . فتقـدم أحدهـم وضربه[1] على رأسه بعصا كبيرة . فشج رأسه ، وانـــهى حياته .

وانتقل يعقوب إلى سيده بعد أن عاش عيشة طاهرة ـ بأمانة تامة ـ وقال هجيسيس وهو مؤرخ يهودى أيضـــا ـ فى القرن الثانى ـ أنه " استشهد سنة ٦٩م " .

أى قبل خراب أورشليم بقليل . وأن بعـــض اليـــهود استاء لقتل هذا البار . فأرسلوا يخبرون أغريباس الملـك ، بجسارة حنان واغتياله يعقوب . فعزلـــه أغريبـــاس مـــن رئاسة الكهنوت . ونصب غيره . وقال يوسيفوس المـؤرخ اليهودى ـ فى خطابه لقومـــه اليـــهود ـ وقــت حصـــار

---

(١) قيل إن الذى ضربه هو شخص (مبيض) بعصاه الذى يقلب بها مواد الطلاء .

أورشليم " إن هذا الشر جلبه عليكم قتلكم لذلك البار يعقوب (الرسول) " .

**(عاشرا) : القديس لباوس الملقب تداوس :**

ومعنى اسمه "شجاع" (جرئ القلب) ويسمى "يهوذا". (ويهوذا ليس الأسخريوطى) . واتفق متى ومرقس على أن يضعوا اسمه بعد يعقوب ابن حلفى ، إشارة إلى أنه أخوه (مت١٠: ٣ ، مر٣: ١٨) ولوقا أشار مرتين إلى أنه أخو يعقوب بن حلفى (لو٦: ١٦ ، أع١: ١٣) فيطلق إذن عليه كما أطلق على أخيه هذا (أخو الرب) .

وقد أشير إليه - فى الإنجيل - بأنه سأل المخلص قائلا : " يارب كيف أنت مزمع أن تظهر نفسك لنا ، لا للعالم ؟ " فأجابه يسوع : " إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى وإليه نأتى، وعنده نصنع منزلا "(يو١٤: ٢٢).

ويظهر أن هذا الرسول كان متزوجا وله أولاد . إذ روى هجيسيس أنه كان له أحفاد وقفوا أمام الإمبراطور

دوميتيان فى روما . وروى إيرونيموس أنه أرسل بعد صعود المخلص إلى أبجر ملك الرها – غير أن بعض المؤرخين يقولون إن تداوس – الذى أرسل لملك الرها – كان من السبعين تلميذا ، ولم يكن من الأثنى عشر .

وقيل إنه عند شروعه فى خدمة الرب . أنه بشر بالإنجيل فى اليهودية والسامرة والجليل وأدوم (شرق الأردن) وفى بلاد العرب وسورية ، ومابين النهرين (العراق) وبلاد فارس . وأثبت تعاليمه بمعجزات خارقة للعادة . واستشهد فى بلاد فارس مرشوقا بالسهام . وقيل إنه مات مصلوبا مع سمعان الغيور (القانوى) .

ولهذا الرسول رسالة صغيرة – تنسب إليه – كتبها إلى كل المؤمنين من اليهود والأمم – فى فلسطين ومصر – ليحذرهم من ضلال المعلمين الكذبة . وكتبت بين سنة ٦٨ أو ٦٩م أى قبل خراب أورشليم . ولا يعلم أين كان ، حين كتبها !! .

**(حادى عشر) : القديس سمعان القانوى :**

ولقب أيضا " **بالغيور** " (لو٦: ١٥) وقيل فى وصفه بالقانوى أنه كان من قانا الجليل . والأرجح أن لفظة "**قانا**" لقب عبرانى ، وقيل كلدانى ، معناه **الغيور** . فإنه كان بين اليهود طائفة صغيرة – يسمى أعضاؤها بالغيورين – أخذوا فنحاس بن هرون مثالا لهم ، فى الغيرة الشديدة للشريعة الموسوية . وكانت زيادة غيرتهم وسفكهم للدماء، علة لسرعة خراب أورشليم . فالظاهر أن سمعان كان من هذه الطائفة قبل أن يصير تلميذا للمسيح !! .

وليس فى الإنجيل ذكر لأعمال هذا الرسول ، غير أن المؤرخين يقولون إنه بشر فى مصر وقيرين (ليبيا الشرقية) وغيرهما من أصقاع أفريقية . وفى جزر بريطانيا . وبعد أن ضم كثيرين من الوثنيين إلى حظيرة ملكوت ابن الله – وصنع الله على يده آيات وقاسى أتعابا شتى – بشر أخيرا فى مابين النهرين . ووصل إلى بلاد فارس، حيث التقى بزميله فى الخدمة القديس يهوذا الرسول.

وحدث أنهما لما دخلا إحدى المدن ، خرست الشياطين التى كانت متعودة أن تجيب السحرة والعرافين على مايستشيرونها فيه . وكان بزداش قائد الجيش الفارسى على أهبة الذهاب لقتال الهنود ، فاستخبر كهنة الأوثان عما يصادفه فى سبيله . فأجابوه بأن مهمته ستكون محاطة بالأخطار، ولابد من أن تسفك دماء كثيرة. وكان الرسولان يسمعان هذه الأقوال ، فكذبا أصحابها . وأكدا للقائد أن " غدا سيأتى إليه سفراء من قبل قائد جيوش الهند لعقد شروط الصلح " . فلما صدق الرسولان فى نبوءتهما آمن القائد - ومعظم جنوده - بالمسيح ، وسهل أمامها سبيل التبشير باسم ابن الله .

غير أن هذا العمل أثار رؤساء الكهنة الأردياء - على الرسولين - فترصدوا لهما ، وقتلوهما ، وقيل برمى سهام عليهما . وقيل بصلبهما . وعلى أية حال، نالا إكليل الشهادة ، جزاء خدمتهما للرب بأمانة (رؤيا ٢: ١٠) .

**(ثانى عشر) – القديس متياس الرسول :**

كان هذا الرسول من تلاميذ المخلص الذين صحبوه منذ عمده يوحنا إلى وقت صعوده للسماء ، كما شهد به القديس بطرس الرسول (أع١: ٢١-٢٢) ويظهر أنه كان من السبعين رسولا . وهو الذى كانت تشير إليه النبوة أنه يأخذ مركز يهوذا الخائن بقول المزمور : " وليأخذ وظيفته آخر " (مز١٠٩: ٨) .

ولما اجتمع التلاميذ فى أورشليم – بعد صعود المخلص – منتظرين وعده بحلول الروح القدس ، وقف بطرس فى الوسط وطلب أن يختاروا رسولا بدلا من يهوذا . واقترعوا على إثنين هما : يوسف المسمى برسابا ومتياس . فوقعت القرعة على متياس . فحسب مع الأحد عشر رسولا (أع١: ٢٣-٢٦) .

واختلف المؤرخون على مكان كرازته . فقيل إنه بشر فى كوش (السودان) واستشهد هناك : وقيل كرز

أولا فى اليهودية ، ثم مضى إلى تدمر (بسوريا) وطـــاف مابين النهرين ، وذهب يفتقد توما الرسول فـــى الـهند . وعاد إلى اليهودية - موطنه - فقبض عليه رئيـس كهنـة اليهود ، فى الجليل ، وحكم عليه بالرجم ، على أثر مقتـل القديس يعقوب بن حلفى أسقف أورشليم . فرجم وقيل إنـه قد قطعت رأسه ونال إكليله .

## (٢) القديس بولس الرسول :

ولد هذا القديس سنة ١٠ ق.م بطرسوس فى كيليكيـا (بآسيا الصغرى) من أبوين عبرانيين ، من سبط بنيامين ، وسمياه باسم أول ملوك إسـرائيل " شـاول " . وعلمـاه الشريعة الموسوية بالتدقيق . وكانت صناعة شاول نسـيج الخيام ، وليس ذلك لفقر والديه ، لأنه كانت العادة الجارية بين اليهود أن يعلم كل رجل أولاده صناعة مـا (ويقـول التلمود " من لا يعلم إبنه حرفة يجعله لصا) .

وكانت طرسوس - في أيام بولس - مستعمرة رومانية . فاكتسب اليهود الساكنون فيها الرعوية الرومانية . وقد بلغت تلك المدينة أعلا مستوى في الدرجة العلمية ، غير أن بولس لم يُسمح له بدراسة الفلسفة اليونانية ، لأن اليهود لم يكونوا يسمحون لأولادهم بتعلُّم علوم الأميين . فأرسل والدا شاول إبنهما إلى أورشليم ليدرس العلوم اليهودية ، على يد أشهر معلم في ذلك الوقت وهو " **غمالائيل** " .

والراجح أن والديه أرسلاه - إلى أورشليم - وهو في سن الثانية عشرة ، حيث كان يمكث هناك عند أخته . ومنذ دخوله مدرسة غمالائيل ، باشر دراسة التقاليد والشرائع. فصار أوفر غيرة في تقليد آبائه . وكان غمالائيل قد أجاز لتلاميذه درس اللغة اليونانية التي كانت قد مُنِعت عن اليهود مدة، بسبب تعصب رؤسائهم ، فسّهل لبولس أن يدرس علوم اليونان ، ويطلع جيداً على تأليفهم،

فاستطاع أن ينادى بالإنجيل فى أثينا وكرونثوس ويناقش الفلاسفة الأبيكوريين والرواقيين .

وكان مجمع الحاخامات - تحت رئاسة غمالائيل - يطرح موضوعاً للبحث ، ثم يجعل التلاميذ يبدون آراءهم فيه . كما كان يعمل سيدنا المخلص ، وهو صغير ، حينما كان يسألهم ، ويناقشهم فى الهيكل (لو ٢: ٤٦) .

ويظهر أن شاول أظهر مهارة غريبة - واجتهاداً بعيداً فى أجوبته - يدل على ذلك قوله فيما بعد : " كنتُ أتقدَّم فى الديانة اليهودية على كثيرين من زملائى فى جنسى. إذ كنت أوفر غيرة فى تقاليد آبائى" (غل ١: ١٤).

وبعدما تقدم شاول فى الأيام - وكان فريسى الجنس - صار فى أقصى درجة من الحكمة وغيوراً على تعاليم الفريسيين التى علمت أن التقاليد أفضل من وصايا موسى. فمارس بكل تدقيق الغسلات الطقسية (الوضوء) والصلوات اليومية والأحكام الشرعية . وجميع طقوس طائفته وشعائرها المُتزمته .

ولقد يسأل البعض : أين كان شـــاول مــدة تبشــير المخلص وصلبه وقيامته وصعوده ؟ فنقول يظهر أن المدة التى قضاها فى أورشليم لدرس العلم اليهودى كانت فـــى أثناء الوقت الذى كان السيد المسيح متخليا فيه عن العمــل الروحى ، أى مدة الثلاثين سنة التى سبقت الخدمة العلنية. ولعل شاول لم يشاهد المسيح فى اليهوديـــة ، إلا يــوم أن كان فى الهيكل يسأل المعلمين . وربمـــا شـــاهده شـــاول ورأى فيه حكمة وعلما نادرين . فغار منه واجتهد لكـــى يكون نظيره .

ولا يستبعد أنه بعدما استكمل علومه رجع إلى المدينة التى ولد فيها ، لكى يقضى وقتا مع عائلته ، التى كان قــد فارقها. وفى هذه الأثناء ظهر المسيح ، وجال يعلم النــاس حتى أنهى مدة خدمته المحدودة ، ومات وقام وصعد إلـــى السماء. والمطلعون يقولون إن بولس فى ذلك الوقت كـــان فى مدينة طرسوس ، لأنه لو كان رأى المســـيح ماكـــان امتنع عن التتلمذ له ، لأنه لم يكن كالفريسيين غيورا غيرة باطلة، بل كانت غيرة مقدسة للرب .

ونقرأ بعد ذلك فى سفر الأعمال (٦: ١٩) أن قوماً من كيليكية وآسيا نهضوا يحاورون استفانوس . فيُظن أن شاول كان من جملتهم ، إذ كان قد رجع فى ذلك الوقت من طرسوس ، وكان مشتاقاً إلى إظهار غيرته على ناموس آبائه . فاغتاظ عندما رأى تابعى معلم جديد يُضادون حفظ التقاليد . وكانوا يُعلمون فى الهيكل . وأن عدد تلاميذ يسوع تكاثر فى أورشليم (أع٦: ٧) فبكل حرارة طبعه وقوة عقله اتحد مع الفريسيين ، ليبيد تلك الطائفة الجديدة . ولما ثار المتعصبون على استفانوس - وأرادوا قتله - كان راضياً بهذا العمل الظالم ، وجلس يحرس لهم ثيابهم .

والبراهين المنطقية تدل على أن شاول لم يكن من أعضاء المجلس (السنهدريم) السبعينى وقت قتل استفانوس. وأنه انتخب فى ذلك المجلس العظيم بعد تلك الحادثة بقليل. وربما كان ذلك مكافأة لغيرته ، فى اضطهاده لمن حسبوه هرطوقياً . ولعل حصوله على هذا المنصب الجديد أوقد

فيه نار الغيرة لكى يظهر مهارة أوفر، فى ملاشاة ديانة المسيح . فجعل ينكل بكل من يراه منهم ، حتى أنه كان يدخل البيوت والاجتماعات ويجر النساء والرجال ويسجنهم . ولم يكفه أن يكون عمله الردئ قاصرا على أورشليم ، بل طلب رسائل من رؤساء الكهنة ، ليعمم اضطهاده للمسيحية فى كل الأماكن . حتى أصبح اسم شاول مخيفا جدا لدى المسيحيين ، وصارت له شهرة رديئة بينهم .

وبينما كان فى الطريق نحو دمشق - لغرض مرعب- وظهر له المسيح ، وقع على الأرض وصار أعمى . وكان مندهشا من ذلك النور الساطع ، الذى فاق لمعان الشمس فى نصف النهار ، وسمع صوت يسوع الذى اضطهده يدعوه ليبشر باسمه . فأظهر الخضوع التام ، والامتثال الكلى لمشيئته وإرادته . واقتيد إلى دمشق منتظرا مايجريه الرب معه . وهناك أتى إليه حنانيا التلميذ، وفتح عينيه وعمده . وتحول اسمه من شاول (مسئول) إلى بولس (صغير ، باليونانية) .

وكان أبعد شئ على ذلك الفريسى المتكبر ، أن يكرز بين الأمم المرفوضين من إسرائيل ، ولكن مما يدل على تسليمه القلبى الكامل لأمر المسيح ، أنه قبل ما فُرض عليه بكل طبعه الحماسى الغيور ، وأن المعرفة التى تعلمها لكى يدافع عن تقاليد الفريسيين ، أدرك الآن كيف يستخدمها جيداً لجذب الأمم واليهود للإيمان المسيحى .

وإن جوهر تبشير بولس أمران (١) أن المسيح هو ابن الله. ومن الكُتب المقدسة برهن حقيقة ملكوت المسيح، الروحى . (٢) أن يسوع هذا هو المسيح ، وقد أسس ملكوته فى قلوب تلاميذه . وإذ ازداد فى الروح والعلم كان يُحيّر اليهود الساكنين فى دمشق ، غير أنه لم يستمر فى دمشق مدة طويلة بعد استنارته ، بل التزم أن يترك دمشق . ولم يكن قادراً أن يذهب إلى أورشليم ، لتجنّب ثورة اليهود ضده . ومن المرجح أنه توجه : إما إلى حدود الصحراء السورية على بعد قليل من دمشق . وإما

إلى صحراء شرق الأردن . وربما كان يكرز هناك بالإنجيل . وتكلم مع العرب المسيحيين الذين كانوا في أورشليم يوم الخمسين (أع٢: ١١) .

ولا نعلم مقدار المدة التي قضاها هناك غير أن كاتب سفر الأعمال يشير إليها بقوله " وتمت أيام كثيرة " (أع ٩: ٢٣) ولابُد أنه صرف هناك أكثر من سنة في الصحراء العربية . فلما رجع من هناك أظهر من الاجتهاد ما فاق باقي الرسل .

وجميع ما صنعه هذا الرسول الغيور من الأعمال العظيمة ، وما قاساه من الاضطهادات - والأتعاب التي احتملها في أسفاره- العديدة مدون في سفر أعمال الرسل، إلى أن سُجن أول مرة في رومية ، حيث مضى عليه سنتان (من سنة ٦١-٦٣) وقد أجمع رأى المسيحيين على أن بولس أطلق سراحه بعد سجنه الأول . وقضى مدة مبشراً بعد ذلك . ثم سُجن أيضاً وحُكم عليه بالموت .

وينقسم تاريخه – بعد سجنه الأول – إلى ثلاث أقسام: (١) محاكمته الأولى ، (٢) غيبته عن رومية، (٣) القبض عليه ، والحُكم عليه بالموت سنة ٦٨م .

بعدما فُحِصَت دعاويه - أمام نيرون بالقصر الملكي- دبر الله أن القيصر يبرئ بولس . وأمر بفك قيوده وإطلاقه. ويُظَّن أن بولس غاب خمسة أعوام بعد إطلاقه . وأنه صرف تلك المدة في التبشير في آسيا الصُغرى . ومن المحتمل أنه ذهب إلى البلاد الغربية وبشر هنالك ، إلى أن وصل إلى بلاد أسبانيا .

ويُظَّن أنه بقى فيها سنتين يؤسس كنائساً في المدن الكبيرة التي على الشاطئ. والأرجح أنه رجع إلى أفسس. وقد صار شيخاً . وكان له من العُمر بين الستين والسبعين سنة . والظاهر إنه ذهب من أفسس إلى ميليتس ومن ثم إلى كورنثوس (٢تى٤: ٢٢) وهو فى الطريق إلى رومية.

ولما كان الاضطهاد على المسيحيين - فى ذلك الحين- على أشدّه وإذ لم يكن بولس بعيداً عن رومية

ولكونه زعيم المسيحيين ، وله أعداء كثيرون . فربما أبلغ عنه بعض الأعداء، وسلمُّوه إلى حاكم نيكوبوليس. فأرسله إلى رومية ، لأجل المحاكمة . وقيل إن بولس كان قد هدى كثيرين في رومية ، ومنهم سابينة ، سرية الإمبراطور نيرون . فاغتاظ جداً وعزم على قتله . ولما رأى الجارية تعيش عيشة الزاهدين – وفي حياة الطهارة– أرسل فأحضر الرسول ، وأمر بأن يُطرَح في السجن . ومن ثم كتب الرسول إلى سابينة يحثها على الثبات على إيمانها وبسبب ذلك أمر الظالم بقتله .

ولا ريب أن بولس نجا من الطرح للوحوش ، ومن باقي أنواع العذاب ، لأنه روماني ، فحُكِم عليه بقطع الرأس ، كما ذكر أوسابيوس المؤرخ . وقيل إنه في تلك المدة كتب لتلميذه تيموثاوس مُعلناً أن : " وقت انحلاله قد حضر " (٢تى٤: ٦) .

ويُروى أنه بينما كان منطلقاً إلى مكان استشـــهاده - خارج المدينة - هَدى ثلاثة مــن الجنــود الذيــن كــانوا يحرسونه . ووصل الخبر لمسامع نيرون ، فأمر بقتلــهم . ثم انطلق بالرسول إلى مكان بجنوب رومية - على بعـــد ثلاثة أميال منها - وبعد أن استودع روحه لربه، جثـــا - أمام الجمهور - وقطع السياف رأســـه . ففارقتـــه روحـــه وصعدت طائرة إلى الرب يسوع حبيبه . وأتى أصحابـــه نائحين ورفعوا جثته وأخذوها ليدفنوهــا فــى الســراديب المشهورة ، التـــى جعلــها المســيحيون - مــدة قــرون الاضطهاد - ملجأً للأحياء ، ومقبرة للأموات .

وقد كتب هذا الرسول أربع عشرة رسالة . وأســـس كنائس عديدة . وسمى بحق معلم المسكونة . وقـــد مـــات جميع عظماء العالم ولم تدم أعمالـــهم ثابتـــة وأســماؤهم مذكورة . أما بولس وإن مات فهو حى فى كل الكنـــائس المسيحية . وألوف وملايين يعتبرونه اليوم معلماً عظيمـــاً

ومُرشداً لهم . والمملكة التى تعب فى تأسيسها هى اليـــوم أقوَّى ، عما كانت هى عليه ، عندما كان علـــى الأرض ، ولن تتزعزع أبداً .

## (٣) القديس لوقا الإنجيلى :

قيل عنه إنه نشأ فى إنطاكية ســورية . وأنـــه كـــان طبيباً ، بدليل ما جاء فى (كو٤: ١٤) كما يدل على ذلـــك أيضاً وصف لوقا – فى إنجيله – الأمراض التـــى أبـــرأ المخلص المرضى منها – وصفاً طبياً .

ولم يكن يهودياً أصيلاً ، بل ممن آمن باليهودية مـــن الأمم الوثنية . وسُمُّوا " دُخَلاء " (قـــابل كـــو٤: ١١ مـــع كو٤: ١٤) وقال أوريجانوس، وغريغوريوس الكبـير ، أن لوقا كان من السبعين، وأنه كتب ماســـمعه مـــن الرســـل ومريم العذراء. واستدلوا على ذلك من قوله عن نفسه فـــى مقدمة إنجيله :" إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فـــى الأمور المُتَيَقَّنة عندنا . كما سلمها إلينا ، الذين كانوا منـــذ

البدء ، مُعاينين وخُدَّاماً للكلمة " (لو ١: ١-٢) واتفق المؤرخون المسيحيون الأولون على أن لوقا كتب بتوجيه من بولس وتعليمه . ولا ريب فى أنه أخذ ماكتبه فى الإصحاحات الثلاثة الأولى من إنجيله عن مريم العذراء .

ولا يُعلَم متى تعمَّد ، ولا على يد من تعمَّد ؟! . وأول ذكر له فى الكتاب ، عند اجتماعه ببولس فى ترواس (أع١٦: ١٠) ويُستَدل على ذلك من تغيير الكاتب - وهو لوقا - الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المتكلمين ، ومن ثم رافق القديس بولس إلى مكدونية .

وبقى لوقا مع بولس كل مدة إقامته بفيلبى نحو سبع سنين (من سنة ٥١-٥٨) وبعد سفر بولس عنها ، بدليل أنه عدل فى كلامه من صيغة المُتكّلم إلى صيغة الغائب (أع١٧: ١) ولما عاد بولس إليها ، رافقه ميليتس وصور وقيصرية وأورشليم كما يظهر فى سفر الأعمال (أع٢٠: ٥ ، ٢١: ١٧-١٨) .

وقال بولس ، فيما كتبه لأهل كورنثوس : " أرسلنا معه الأخ ، الذى مدّحه فى الإنجيل ، فى جميع الكنائس ، وليس ذلك فقط بل هو منتخب أيضاً من الكنائس رفيقاً لنا فى السفر " (٢كو٨: ١٨-١٩) وفى ملحق هذه الرسالة باليونانية ماترجمته : " أُرسِلَت من فيلبى على يد تيطس ولوقا " فيكون لوقا الأخ المشار إليه . وكان مع بولس مدة سجنه فى قيصرية (أع٢٤: ٢٣) ورافق بولس وهو منطلق أسيراً إلى رومية (أع٢٧: ١ ، ٢٨: ١٦) وبقى معه كل مدة السجن الأول (كو٤: ١٤ ، وفل٢٤) وإذا حسبنا أن بولس كتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس فى مدة سجنه الثانى فى رومية - كما هو المُرَّجح - نستنتج أن لوقا بقى مع بولس إلى نهاية جهاده (٢تى٤: ١١) .

وقال نسيفورس وكثيرون من المؤرخين المسيحيين أنه كان مُصَوّراً ، وأنه أول من رسم صورة القديسة مريم العذراء ، وصورة الرسولين بطرس وبولس . ولذا وُجِدَت صورته وبجانبها صورة السيدة العذراء وأدوات الرسم . وقيل إنه صوَّر السيدة العذراء وبحضنها الطفل يسوع .

والمتواتر على الألسنة أنه توجد منها ثلاث صور : واحدة فى القدس ، وأخرى فى رومية ، والثالثة فـــى مصـــر . وكان متبحراً فى العلوم الفلسفية، وعالماً فى اللغة اليونانية. ولذا كان تعبير إنجيله أفصح لغوياً من باقى الإنجيليين .

وللقديس لوقا كتابان - مُوَّحى بهما - وهمـــا إنجيــل لوقا وسِفْر الأعمال . كتب الأول سنة ٦٣م فـــى مدينـــة كورنثوس ، وكتب الثاني سنة ٦٤م فى نفس المكان . وقد وجههما لشخص يدعي " **ثاوفيلس** " وقال البعض إن هـذا الاسم ليس علماً معيناً لرجل ، بل يُرَاد به كـــل شـــخص محب الله أيا كان ، لأن ترجمة ثاوفيلس باليونانية " محـب الله " إلا أن أكثر المحققين ذهبوا إلى أن هذا الرجل كـــان زميلاً ورفيقاً للوقا فى الإسكندرية . ثم ارتقى فى وظـــائف الإمبراطورية إلى رُتبة الحاكم العالى ، الذى يُعطـــى لـــه لقب " العزيز " مثل فيلكس الوالى ، وغيره (أع٢٤: ٣) .

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد مقر خدمة القديـــس لوقا ، بعد استشهاد بولس الرسول . فذهب بعضهم إلـــى

إنه بشَّر فى مصر وليبيا والصعيد . وقيل إنه ذهب إلـــى دلماتيا وفرنسا وإيطاليا ومكدونيا . ويُظّن أنه عاش حتـــى ناهز الثمانين أو الرابعة والثمانين من عمره . ولم يُعـرف مكان موته أو نوعه . والأرجح أنه استشهد مـــع مُعلّمــه بولس الرسول فى رومية فى حكم نيرون الرومانى .

## (٤) القديس مرقس الرسول :

هو المُسمَّى فى الكتاب المقـــدس يوحنـــا (عــبرى) مرقس (لاتينى) (أع١٢: ١٢) وهو من السبعين رســولاً . ورافق بولس وبرنابا (خاله) مدة فى التبشير (أع١٢: ٢٥). وفى الأيام الأخيرة حصر خدمته فى مصر (وليبيا) التـــى كانت عاصمتها يومئذ " **الإســـكندرية** " وبعـــد أن هـــدى كثيرين إلى الإيمان نقم عليه الوثنيون، فألقوا عليه الأيدى، وربطوا حبلاً فى عُنقه ، وجعلوا يجرُّونه فى الشوارع إلى أن تمزّق لحمه . وكان استشهاده فى سنة ٦٨م (وتاريخــه بالتفصيل بكتابنا " تاريخ الكنيسة القبطية ") .

(٥) القديسان برنابا وتيموثاوس :

إن برنابا الرسول كان شريك بولس الرسول في الخدمة مدة . ثم فارقه مع يوحنا مرقس في قبرص. ولبث يبشر فيها حتى أنه كان ذات يوم يخدم في الكنيسة ، التي أسسها ، فهجم عليه يهود سلامينا ، وجرُّوه إلى خارج المدينة ورجموه بالحجارة ، فمات شهيداً وتم دفنه هناك .

أما **تيموثاوس** تلميذ بولس الرسول . فقد كان أسقفاً على مدينة أفسس . وفي عهد اضطهاد دوميتيانوس طُعِن بحرابٍ ، طعناً أليماً ، أبقاه معه . فلم يعش بعده أكثر من يومين ، ونال إكليله ، ورقد في الرب . وذلك قبل مجيء القديس يوحنا الرسول ليتابع كرسي أفسس .

(٦) الشمامسة السبعة :

وهم الذين انتخبهم الرُسل ، للقيام بخدمة توزيع الصدقات على المحتاجين من المسيحيين حينئذ .

- **أولهم : استفانوس** . وخبره وارد بسفر أعمال الرسل ص٧ .
- **ثانيهم : فيلبس** . قيل إنه مضى إلى آسيا الصُغرى حيث بشر بالإنجيل . وأقام كنيسة ، ورقد في الرب .
- **وثالثهم** : بروخوس . ويقول عنه المؤرخون أنه صار أسقفاً على نيكوميديا بآسيا الصُغرى . وبعضهم يرون أنه استشهد في إنطاكية ، بعد أن اشتهر بعمل معجزات كثيرة هناك .
- **ورابعهم : نيكانور** . وقيل إنه أخذ إكليل الشهادة مع كثيرين يوم رجم استفانوس . وقيل إنه استشهد في جزيرة قبرص .
- **وخامسهم : تيمون** . ويقولون إنه صار أسقفاً على بصرة في شرق الأردن، ومات محروقاً بأمر الكفَرة .
- **وسادسهم : برميناس**. ويقولون إنه نال إكليل الشهادة في فيلبي بمقدونية ، في عهد الإمبراطور تراجان .

• وسابعهم : **نيقولاوس** . ووصفه الكتاب بـــالدخيل الإنطاكى . وقد وُجِدَ فى – القرن الأول – هراطقة كـــانوا يفتخرون بأنهم أتباع نيقولاوس . وقيل إنه كان متزوجـــاً بإمرأة جميلة . ولما آمن بالمسيح ، فارقها ليتفرَّغ للخدمة، غير أنه فيما بعد لما استهواه جمالها. ردّها . ولكى يـــبرر عملهُ ، ابتدع بدعة ذات تعاليم منحرفة سُـــميّت بدعــة النيقولاويين " والتى من أهـــم خُرافاتـــها جعـــل العلاقـــة الجنسية مع النساء مباحة ، بدون استثناء ، سواء مورسـت مع العذارى أو المتزوجات !!.

إلا أن اكليمندس الإســـكندرى يثنـــى كثـــيراً علـــى نيقولاس ويُخالِف من قال ذلك . والقديس أوغســـطينوس قال : " إن أتباع نيقولاوس أولُّوا كلامه ، وفـــهموا منـــه بخلاف ماقصد . وذلك أنه لما نمَّه البعض علـــى إفـــراط غيرته على إمرأته . فلكى يبرئ نفســـه عرضـــها أمـــام الجمهور ..وقال من أراد فليأخذها . فتأُّول كلامه هذا إلـــى تلك البدعة (الجنسية) الشنيعة " .

(٧) القديس إكليمندس الروماني :

وكان من عائلة شريفة ويتصل نسبها بالعائلة المالكة في روما . وكان أبوه يدعى فستينوس من أعضاء مجلس الشيوخ (Senato) . ومما يُعلَم عن هذا الفاضل أنه ذهب إلى أثينا ليدرس بعض العلوم . ومع كونه بَرَع في كثير منها ، إلا أنه لم يرتَح إليها ، ولم يجد فيها ما يروي نفسه المُزَيّنة بالفضيلة .

ولما بلغه قدوم بولس الرسول إلى رومية - في أبان الاضطهاد الذي أثاره نيرون - تتلّمذ له وتعلّم منه أصول الديانة المسيحية . وصار يقرن العلم بالعمل . مما جعله مستحقاً لثناء الرسول بولس في رسالته لأهل فيلبي ، حيث يذكره في مقدمة العاملين في خدمة الإنجيل ، الذين أسماؤهم مُسجّلة في سِفْر الحياة ، عند الله (في٤: ٣) .

وكان من أثر ترك اكليمندس لديانة آبائه ، وإيمانه بالمسيح ماجعل للمسيحيين شأناً عظيماً في رومية .

وتقاطر إلى الدخول فى الإيمان كثيرون من ذوى الحسب والنسب ، منهم "دوميتلا" إبنة أخى الإمبراطور دوميتيانوس . وآمنت على يده ثيودورا قرينة سيرينيوس أحد كبار رجال رومية . ولما رأى الرسول بولس غيرته المقدسة أقامه أسقفاً على مدينة رومية .

ولما دب الخلاف بين مسيحيّي كورنثوس ، حرر هذا القديس رسالتين ، يحرضهم فيهما على المحبة والسلام ويعتذر لهم على تأخره فى الكتابة . ويُثنى على اهتمامهم الروحى ، وثباتهم فى الإيمان والفضيلة ومحبة الغُرباء واحترامهم للرعاة ، وانشغافهم بكلام الله .

ثم برهن – بأقوال الوحى الإلهى – أن علة انشقاقهم هى الغيرة والحسد . وأوصاهم بالتمسُّك بالمحبة بعضهم لبعض . وأقنعهم أن خدمة الكلمة مصدرها الله . وختمها اكليمندس الرومانى بالدُعاء لهم .

وبينما كان مثابراً على جهاده ، ثار اضطهاد شديد فى حُكمِ تراجان قيصر . وكان مجلس الشيوخ فى رومية

مغتاظاً من القديس إذ لم يُطِق أن يــرى أحــد الأشــراف الرومان يدين بغير دين المملكة (الوثنى) وبما أنـــه كــان رئيساً للمسيحيين أُجبِّر على الحضور أمام رئيس المجلـس فأشار عليه أن لا يُهين شرف مقامه الرفيــع . وأن يّقــدم بخوراً للآلهة ، استجلاباً لرضاء الشعب عليه .

فلما رفض رفع الوالى أمره إلى تراجان . فأمر بنفيـه إلى بلاد القرم فأبلغه الوالى الأمر ، وهو مُشفِق عليه قائلاً له : " أرجو أن الله الذى تعبده لا يهملك فى بيتك " . ثــم قيّد اكليمندس ونفاه إلى جزيرة كريسونز . وحكــم عليــه بأن يشتغل باستخراج المعادن مــن المحــاجر . ووضــع الحديد فى رجليه .

غير أنه لم يُظهر تبرَّماً من هذا الحكم . بل إنطلـــق إلى المنفىً بسرور، فوجد به ألفـــىً مســيحى – محكــوم عليهم مثله – بقطع الرخام . وتزايد آلامهم ، لما يتكبدونـه من العطش بالنسبة للمشقة التى يعانيها أولئــك المســاكين للحصول على مياه للشُرب .

فأخذ رفقاءه المسجونين ليُعزّيهم علـــى مصائبـــهم . وبواسطة صلاته دبر الله لهم طريقة للحصول على المـاء، حتى قيل إن كثيرين من القبائل من مستوطنًى تلك الأماكن أمنوا بالمسيح بواسطته . ولهذا أرسل إليهم الإمـــبراطور وزيره أوسيديوس ليردَّهم عن الديانة المسيحية إلى عبـادة الأوثان . فلم يفلح إذ وجدهـــم يُفضلُّـون المــوت علـــى الرجوع للوثنية .

فكر الوزير فى نفسه أن يُرجع رئيسهم اكليمنــــدس حتى إذا عاد هو للوثنية سهل عليه رد مرؤوسيه – فـــأخذ يُكلمُّه باللطف ، ويرجوه بالمُلاينة ، ويعده بوعود صالحة، ولكن كل هذه الوسائل لم ترجع بفائدة ، إذ رأى القديـــس مصراً على اعترافه بالمسيح . ولذلك حكم عليه بـــالموت غرقاً . وأمر بأن يُرَبط عنقه بمرساة . ويُطرح فى البحـــر حيث نال إكليله غرقاً فى سنة ١٠٠م .

+ + +

# (القرن الثانى)

## (الفصل الأول)

## حوداث الاضطهاد

(١) الاضطهاد الثالث في عهد تراجان .
(٢) دفاع بلينى والى بثينية عن المسيحيين .
(٣) تجديد الاضطهاد فى عهد أدريانوس .
(٤) اضطهاد أنطونيوس بيوس .
(٥) الاضطهاد الرابع فى عهد مرقس أوريليوس.
(٦) الاضطهاد الخامس في عهد ساويرس .
(٧) اعتذار (دفاع) ترتوليانوس عن المسيحيين .
(٨) أوريجانوس ودفاعه عن المسيحية .
(٩) كنائس المسيحيين فى أزمنة الاضطهاد .

### (١) الاضطهاد الثالث فى عهد تراجان :

إن الراحة التى حصل عليها المسيحيون فـــى عـــهد نرفا قيصر ، لم تطل ، لأن مدة حُكمه لم تستمر أكثر مـــن

سنة. فخلفه تراجان الذى جدد الاضطهاد على المسيحيين. وقد حمله على ذلك - على نحو ما قيل - سببان أحدهما توغله فى عبادة الأوثان ، والثانى خوفه من تمرد المسيحيين على الحكومة الرومانية . إذ رآهم يزدادون يوماً فيوماً . ولهذا كان يبغض المسيحيين بغضاً شديداً .

وقيل إنه عزم على أن يُلاشى الديانة المسيحية ، ولا يُبقى لها أثراً . فأمر بمنع المسيحيين من الاجتماعات . فتمسك الحكام فى كل الولايات بهذا الأمر . واتخذوه وسيلة لإقامة الاضطهاد على هؤلاء المساكين ، الذين كانوا لا ينقطعون عن اجتماعاتهم . فاستشهد منهم كثيرون فى كل مكان .

وشدد القيصر على ضباطه ، بإبادة كل من كان من ذرية داود ، لما كان علم أن المسيح جاء منهم . واشتد الحكام الرومان على المسيحيين . ولما كان أعداؤهم كثيرين كانوا يستعملون كل الوسائط ليأتوا بهم إلى الحكام ويتهمونهم بمخالفة الشريعة . فمن كان أميناً للمسيح

احتمل مشقات كثيرة . وبعضهم أسلموا أنفسهم للموت حُباً في سيدهم . وحدث مرة إذ كان أحد القواد الرومانيين حاكماً في آسيا اتفق المسيحيون لشدة ما أصابهم من الجور والظلم على أن يأتوا جميعاً في هيئة جمهور أمام الحاكم المذكور ، وأن يخبروه جميعهم أنهم من تابعي المسيح ، ويطلبون منه حُسن المعاملة ، ظانين أنه متى رأى عددهم وافراً يُشفق عليهم ، ويعاملهم بالرحمة . ولكن إذ كان رجلاً قاسياً أمر بقتل بعضهم ، وأطلق الآخرين وهو يقول لهم : " أيها الأشقياء إن كنتم تفضلّون الموت على الحياة فتجدون حفراً واسعة لتبتلعكم " .

**(٢) دفاع بلينى والى بثينية (بآسيا الصُغرى) عن المسيحيين :**

ولما اشتد الاضطهاد جداً . وضيّق على المسيحين في كل مكان . وكان عذابهم مريعاً ، والقتل فيهم كثيراً ، تحرك والي بثينية " **بليني** " . وهو رجل شهير جداً . ولم

يُطق أن يرى ما كان يعامل به المسيحيون من القساوة وعدم الشفقة . واضطر أن يكتب إلى تراجان الرسالة الآتية (وهى واردة فى مجموعة رسائله ، مع الرسالة السابعة من الكتاب العاشر) : -

" بلينى إلى الإمبراطور تراجان يرجو له صحة وسعادة . إنه حسب عادتى ياسيدى الإمبراطور أعرض عليك جميع المسائل التى أشكُّ فيها ، لأنه من مثلك يستطيع أن يرشدنى إذا ضللَّت الطريق . أو يُنير ظلماتى إذا أحاط بى الجهل ؟. ففى محاكمة المسيحيين لم أشترك البتة لأنى إلى الآن لا أعرف ماهو الذنب الذى لأجله عادة يُعاقبون ؟ أو ماهى الأمور المُرخص بها ؟ " .

" لذا تجدنى فى حيرة كبيرة فى هذه المسألة . فلا أعرف إذا كنت أُميز بين كبارهم وصغارهم ، وأعامل الضُعفاء منهم ، بخلاف ماأُعامل الأقوياء . وهل أسامح التائبين منهم ؟ أو هل من كان مسيحياً ثم ارتد يستحق

العفو ، أم لا ؟ وهل يعاقب كل من يُسمَّى بهذا الاسم (مسيحى) عن الجرائم السرية ؟ أم أن العقاب يكون لجميع مرتكبى الجرائم السرية ، الذين يسمون بهذا الاسم ؟ على أنى إلى الآن أتصرَّف مع المشتكى عليهم - أنهم مسيحيون - بهذه الكيفية : وهى إننى أسألهم ليعترفوا بشفاههم أمامى إن كانوا مسيحيين أم لا ؟ . فإذا قالوا أنهم مسيحيون سألتهم ثانيةً وثالثةً . مهدداً إياهم بالموت ، إذا هم أصرُّوا على عنادهم . فإذا أصروا (على الإيمان) أمرت بمعاقبتهم ، اعتباراً بأن ذنبهم - فى هذه الحالة - هو العصيان والعناد. وقد جئ أمامى بآخرين مصابين بهذا الجنون عينه (مسيحيين) وبما أنهم رومانيو الجنس أمرت بإرسالهم إلى رومية " .

" أما إجراء التحقيق - في هذه القضايا - كما هو الجارى فى أغلب الأحيان ، فهو أن مجرد إتهام شخص أو أشخاص يجعل للقضية صبغة قانونية ، وينشأ عنها

عدة قضايا فرعية . والاتهام يتم عادةً بتقديم ورقة بـــدون إمضاء (شكوى مجهولة) فيها اسم شـــخص أو أشـــخاص يقال إنهم مسيحيون . فحالا استدعيهم أمامى . فـــإذا قـــال أحدهم إنه ليس مسيحياً ، أو أنه لم يكن مســـيحياً البتـــة ، أرى أنه من العدالة إخلاء سبيله . على أنى لا أُخلى سبيله إلا بعد أن أجعله يتلو أمامى صلاة للآلهة ألقّنه إياها ، مـــع تقديم خمر وبخور ، وتوسلات لتمثـــالك ، الـــذى أمـــرتُ بإحضاره إلى دار الولاية ، ونصبته لهذا الغرض ، مـــع تماثيل الآلهة . ثم أطلب منه – علاوة علـــى ذلـــك – أن يجدف على اسم المسيح ويلعّنه !! وهذه أمور لا يرضّى – من كان مسيحياً حقيقياً – أن يفعل واحداً منها " .

" وبعض المتهمين يقولون لى ، إننا كنا حقاً مسيحيين وارتددنا " . وبعضهم يقول إنه تركها منذ ثلاث ســنوات ، والبعض منذ زمن طويل . وقليلون هم الذيـــن يقولـــون : " إننا تركناها منذ عشرين سنة " . وكل هؤلاء لم يتعبـــدّوا

فقط لتمثالك - وتماثيل الآلهة - بل جدّفـــوا علـــى اســم المسيح أيضاً . وقد أكدوا لى إن ذنوبهم ومساوئهم التـــى كانوا يرتكبونها ، هى أنه كان من عادتهم أن يجتمعوا معاً فى يوم معين من الأسبوع قبل الفجر ، ويرنموا بالمناوبـــة ترنيمة للمسيح باعتباره أنه الله (أو إنه إله) وأنهم تعـاهدوا معاً بقسم أن لا يرتكبوا الفحشاء. وأن يمتنعوا عن الســرقة والسلب والزنا. وأن لا يُخلفوا وعدا . ولا يُطيعوا ظالمـــاً، متى طُلب ذلك منهم . وبعدما يُقسمون على هذه الأمـــور، كانت عاداتهم أن يتفرقوا ثم يجتمعون ثانية لتناول الطعام، ولكنه طعام اعتيادى وجائز " .

" ويقولون إن هذا قد أبطلوه بعدما أصدرت منشـورى بناء على أمرك الإمبراطورى بإبطال كل جمعيـــة ونـادٍ عمومى أو سرى . وإذا أردت أن أتحقـــق هــذه الأمــور بكيفية أدق، ألقيت القبض على خادمتين تُلقبان " شماستين" وبعد تعذيبهم عذاباً شديداً - لأعرف الحقيقة منهما - لـــم

أكتشف شيئاً سوى خرافات تدل على الجنون والـــهذيان . ولذلك أجلت النظر فى أمرهم ، وأسرَّعت لأستشيرك " .

" والمسألة - كما يظهر لى - تســتحق الاستشـــارة ، خصوصاً بالنسبة لعدد الذين هم فى خطر الآن . فكثيرون جداً هم المتهمون . وهم من كل سن ومقام ودرجة ، ومن كلا الجنسين أيضاً - الذكور والإناث - لأن هذه الخرافـــة لم تقتصر عدواها على المُدن فقط ، بل سرت إلى القـــرى والأقاليم " . ومع ذلك فإنى أرى إمكانية منعها وإرجـــاع القوم إلى الصواب .

وعلى كل حال ، فإنه يكفينا الآن أن أغلب الـــهياكل (الوثنية) المـــهجورة ابتـــدأ يعــود إليــها رونقـــها . وأن الاحتفالات المقدسة ، التى كانت قد أُبطلت تقريبـــاً ، قـــد عادت وانتعشت . وعاد سوق الذبائح إلى الرواج . ولـــو أن المشترين لا يزالون قليلين : ومن هذا ترى مقدار عـــدد الناس الذين يمكن إصلاحهم إذا أُعطيت لهم فرصة للتوبـــة وللرجوع " .

هذه رسالة حاكم ولاية رومانية - إلى إمبراطوره - يطلب منه الإرشاد فى أمر معاملة المسيحيين . وقد كتبها سنة ١١٢م . أى بأقل من ٩٠ سنة بعد تعيين بيلاطس البنطى والياً على اليهودية . وفى الرسالة إشارة إلى وليمة " المحبة " (Agape) فى الكنيسة الأولى والتى تشير إليها رسائل بولس وأغناطيوس وغيرهما . وفيها شهادة مهمة لوظيفة الشماس (من الجنسين) الوارد ذكرها فى الكتاب المقدس .

أما رد تراجانوس فكان هكذا :-

" تراجانوس إلى بلينى . يرجو له صحة وسعادة " .

" إنك قد أحسنت حقاً - يا عزيزى بلينى - فى إجراءاتك التى اتخذتها مع أولئك الذين أُتِيَ بهم أمامك ، متهمين بأنهم مسيحيون . لأنه يستحيل أن يوضع قانون واحد يعامل به الجميع ، على حدٍ سواء . وأرى أنه لا يجوز البحث عنهم ، وإحضارهم أمام المحكمة ، مالم تُقدم ضدهم شكوى . أما إذا قُدمت ضدهم شكوى ، ووجِدُوا

مذنبين ، فيجب معاقبتهم قانوناً . أما إذا رفض أحدهم الديانة المسيحية ، بعد أن قدمت الشكوى ضده وثبتت . وأيد رفضه أياها عملياً بعبادته الآلهة – أو ما أشبه ذلك – فإنه يُعفى من العقاب، مهما كان ذنبه في الماضي . ثم إنه لا يجوز – في أية حال – قبول ورقة تُهمةٍ ما ، لم تكن ممُضاة باسم مقدمها . وإلا صار هذا العمل خطراً ، وغير لائق بكرامة حكومتي " .

فأمر تراجانوس هذا ، مع أنه أطفأ غيظ أعداء المسيحيين ، غير أنه تسبّب في هلاك كثيرين منهم – في عهد أحسن الملوك – لأنه كان إذا شكى أحد مسيحياً ولم ينكر أنه مسيحي ، أخذ جزاءه ، إذا لم يرتد عن الديانة المسيحية . فعلى مقتضى شريعة تراجان كان الثبات في المسيحية جُرماً جسيماً .

وبهذه الشريعة عينها قضى بأمر تراجانوس على بعض المسيحيين – بأنواع ميتات مختلفة – لأن نوع الموت كان متروكاً – بحسب الشريعة الرومانية – لإرادة القاضي وليس للقانون.

فما كان أشنع ذلك الظلم الذى أدى إلى التعدِّى على أُناس أبرياء . وقد أظهر العلامة ترترليانوس هذا الظلم – بعبارات بليغة قوية . وقال : " لماذا هذا التضاد فى الأعمال ؟ فإذا أمرت بالحكم على ذنب فلماذا لا تطلب التفتيش عليه ؟ وإذا حكمت على المشتكى عليه – بدون – طلب التفتيش عليه – تظهر جلياً أنه قد وقع عليه القصاص ، لا لكونه مذنباً ، بل لكون مجرد الاشتكاء منه ذنباً عليه " .

وصار منشور تراجانوس هذا قانوناً عاماً . كان يُعمل به مدة قرن . ومع أنه لم يُنشر أمر جديد فى تعميم الاضطهادات ، كانت الاضطهادات الخاصة كثيرة جداً فى أكثر الولايات . وكان يكفى حينئذ أن يأتى أحد أعداء المسيحيين ويسعى فى من يريد الانتقام منه ، لكى يُحكم عليه بالموت ، إذا امتنع عن جحد إيمانه . وكانوا إذ لا يرون عند المسيحيين أثراً للخرافات الوثنية ، يسهل عليهم قذفهم بكونهم ينكرون المعبودات .

وكهنة الأصنام كانوا يتداخلون فى هـــذه التشــكيات ليهيجوا روح التعصب فى الأهالى . وليروهم شناعة تلــك الديانة الجديدة . التى كانوا يخشون منها علـــى وجودهــم ومصدر رزقهم .

ولذلك كنت تــرى العامـــة يصرخـــون غالبـــاً فـــى المجتمعات طالبين إبادة الكفار . وكان إذا فاض نهر تيــبر (فى روما) على ضفتيه أو حدثـــت زلازل أو مجاعـــة أو ضربة عامة – أية كانت – هيجت عقول الجمهور الوثنى، ويصرخ كل فم أن العلة هى غضب الآلهة بســـبب نمـــو الديانة المسيحية . وبادروا حالاً إلى إرضاء آلهتهم ، بذبح المسيحيين ، حتى أخبر مؤرخو ذلك العصر أن الجـوع أو الوباء أو الحرب لم يُهلِك فى عصرِما أكثر منهم .

**(٣) تجديد الاضطهاد فى عهد أدريانوس :**

إن كهنة الأصنام – الذين كانوا يريدون القضاء علــى المسيحيين – عُرقلت مساعيهم نوعاً مـــــا ، لأن منشـــور تراجانوس جعل الذين يتقلدون وظيفة المشتكين الخطـــــرة

قليلون . إلا أنه فى عهد خليفة أدريـــانوس ســنة ١١٧م تمكن الكهنة من إثارة الشعب عليهم ، فى وقت مباريـــات الملاعب بأن يطلبوا بصوت واحد – من الحُكام والـولاة – إبادة المسيحيين . ولم يكن ممكناً للحُكام التغــاضى عــن الاستماع لهاذ الطلب ، خوفاً من الفتنة . فسار ادريـــانوس على منوال أسلافه فى اضطهاد المسيحيين، والتنكيل بهم.

ولما كانت معظم الاضطهادات مبنية على ما يتوهمـه القياصرة باطلاً فى المسيحيين ، فقد بُنى هذا الاضطـــهاد على ماشوهد من أفعال بعض الهراطقة الغنوســتيين (أى أهل المعرفة) الذين كانوا يتكلمون عن الله بـــإرادة غــير صالحة . وكانوا – بحسب الظاهر – مشابهين للمســيحيين أكثر من سواهم . ولهذا كان يُظن بالمسيحيين أيضاً أنـــهم نظيرهم . وكان هنـــاك أيضـــاً ســبب آخــر لاضطـــهاد المسيحيين ، وهو الظن بأنهم مثل اليهود ، نظراً لـــرداءة سيرة هؤلاء . وقد ساعد كثيراً على نمو الاضطهاد ميـــل

القيصر المذكور للسَحر ، وغُلّوه في احترام ديانة آبائـــه . ومال إليها بشدة ، حين كان ببلاد اليونان . فأصدر أمـــراً نهى فيه عن الأديان الحديثة بوجه العموم . وكانت غايتـــه الإشارة للديانة المسيحية. وهذا فتح باباً واسعاً ، لمـــن أراد اضطهاد المسيحيين .

فمن ثم اشتد الاضطهاد جداً فى كل مكان . وكثيرون من المسيحيين نالوا أكاليل الشهادة ، ومنهم الشهيد العظيـــم أنستاثيوس مع زوجته وولديه والقديسة صوفية (حكمـــــة) مع بناتها الثلاثة ، وهن بيستس " إيمان " وهلبيس " رجاء" وأغابى " محبـــة " والشـــهيد . مـــن خـــدام الإنجيـــل – الفتاريوس مع أمه .

فاضطرت الحال المسيحيين إلىٰ نشـــر احتجاجاتـــهم المكتوبة ، والمدافعة عن أنفسهم . وتبرئتها من التُهم التـــى كان أعداؤهم يلقونها عليهم كذباً . فأول ما نُشر من ذلـــك رسالة كوادراتوس أسقف أثينا سنة ١٢٦م إلى أدريـانوس، ثم حذا حذوه أريستيدس أحد الفلاسفة المتنصرين . فبعـث

باحتجاجه إلى هذا القيصر ، من أجل تقوى المسيحيين وتعبدهم لله . غير أن كلتا الرسالتين مفقودتان ماعدا فصلاً واحداً من احتجاج كوادراتوس ، وارداً فى كتابات أوسابيوس المؤرخ . ورسالة كتبها فى ذلك سرينيوس جراتيانوس ، نائب قنصل آسيا. اظهر فيها لأدريانوس أنه من واجبات العدالة أن لا يُسفك بسبب صراخ الغوغاء دماء العدد الكبير من المسيحيين ، الذين يرون أنفسهم كل يوم محكوماً عليهم ، لمجرد إسمهم ، وبدون سبب آخر شرعى .

وعلاوة على ذلك أنه عندما أتى القيصر إلى أثينا قابله الفيلسوفان المسيحيان أثيناغورس وتاسيتانوس ، ودافع دفاعاً منطقياً حسناً عن أخوتهم . وشرحا فيه بشارة يسوع المسيح . وذكرا عجائبه وشفاؤه المرضى وإقامته الأموات .

فأثر هذا الكلام فى أدريانوس . فأرسل أوامره إلى كثيرين – من حكام الولايات – يأمرهم أن يقصروا عن

الاضطهادات الناجمة عن طلب الشعب (الوثنى) وأنــه إذا كان للشعب شكاوى على المسيحيين ، فعليهم أن يقدموهــا إلى الحاكم ، بصــورة دعــاوٍ قانونيــة . وأن لا يكتفــوا بشكاوى الوشاة . بل يجب أن يفحصوا عن حقيقتها . فــإذا وجدوا شيئاً منها مضاداً للقــانون ، فيجــب أن يعــاقبوا مرتكبيها بما يستوجب عليهم ذلك الذنب من القصــاص . وإذا كان التشكي مجرد وشاية ، فيجــب أن لا يتغــاضوا عن قصاص الوشاة .

فأوقف هذا الأمر الاضطهاد مدة ، إلا أنه لــم يكــن كافياً لنقض ماســبقه مــن الأوامــر ، ولاســيما أوامــر تراجانوس . وأخذ أدريانوس من ذلــك الوقــت يُحِســن معاملة أصحاب المذهب المسيحى ، حتى أنــه قصــد أن يجعل يسوع المسيح من جملة المعبودات !!.

ويقول ايليوس لمبريدوس المؤرخ فى سيرة سنيروس ابن الإسكندر أن أدريانوس – فى آخر حياتــه – أراد أن

يقيم أيضاً هيكلاً على إسم المسيح . وأنه أمر بأن لا يكون في هياكل المدن أوثان ولا أصنام ، وذلك لكي يدخل المسيحيون إليها ويسبحوا المسيح . إلا أنه مُنع من إجراء ذلك ، من أناس قالوا له إنه إذا تم ذلك فجميع اليونان (أى الوثنيين) يتركون هياكل الآلهة ، ويعتنقون دين المسيح ، ويبقى القيصر نفسه عابداً للأصنام وحده !!.

ومع أن المسيحيين – فى باقى ولايات المملكة الرومانية – كانوا محفوظين من الاضطهاد ، فالقاطنون منهم فى اليهودية كانوا فى ضيق شديد ، لأنه ظهر يومئذ رجل يهودى اسمه باروخيبا ، وعصى على الدولة الرومانية وادعّى بأنه المسيح. فآمن به كثير من الأشقياء. ومن الذين لم يؤمنوا بأن يسوع الناصرى هو المسيح . وتبعوه وحاربوا الحكومة الرومانية . فبذل هذا الإنسان جهده فى إقناع المسيحيين بأن يتحدوا معه ، فلم يوافقوه لأنهم كانوا متحققين بأن يسوع الذى مات على الصليب هو المسيح الحقيقى . فلما وجد باروخيبا (ابن الكوكب) أن

المسيحيين لم يوافقوه ، ولم ينضموا إليه أمات منهم عـــدداً كبيراً ، ولكن الرومانيين أمسكوه أخيراً هو وكثيرين مــــن رفقائه ، وعفوا عن المسيحيين الذين لم يتبعوه .

**(٤) اضطهاد الإمبراطور أنطونيوس بيوس :**

أنه مع كون أدريانوس حظر اضطـــهاد المســيحيين بدون ذنب، إلا أن الاضطهاد تجدد عليهم فى أواخر مُلكه، واستمر إلى أيام الإمبراطور أنطونيوس . وكان الأعـــداء يهجمون عليهم . وبما أن الولاة لـــم يكونــوا يعتــبرون المسيحيين مذنبين يسبب ديانتهم . فشكوهم بعدم التقـــوّى والنفاق . فانبرى يوستينوس الشهيد – والفيلسوف الشهير– للمرافعة عنهم لدى أنطونيوس . ولدرء التـــهم المُوجَّهــة إليهم من الوثنيين ظلماً .

ولذلك أصدر القيصر أمراً بأن يعامل المسيحيون تبعاً لأوامر سلفه أدريانوس . إلا أنه حدثت فيما بعد مجاعــــة فى أنحاء أوروبا ، وتلتها زلازل فى آســـيا الصغـــرى . فقال كهنة الأوثان للقيصر : " إن الآلهة غير راضية علـــى

المملكة ، بسبب وجود المسيحيين فيها ، لأنـــهم يذبحــون الأولاد فى الأعيــــاد ويأكلونـــهم " . فاســتعرت نــيران الاضطهاد واشتدت وطأتها . وهجم الشعب الوثنى علــــى المسيحيين – بكل نوع من الاغتصـــاب والاعتـداءات – لأنهم اعتبروهم علة لهذه المصائب والضربات .

غير أن دفاع يوستينوس عن المسيحيين أقنع القيصــر ببراءتهم ، وقساوة أعدائهم . ثم قدم إليه المسيحيون فـــى آسيا شكاوى بينوا بها أنواع الاضطـــهادات التـــى حلّــت عليهم في وطنهم ، فأصدر أمراً شديداً نُشر فى أفســـس سنة ١٥٢م مُعلناً به أنه يقاص بالموت كل مُشــتكٍ علـــى المسيحيين ، لا يقدر أن يُثبت عليهم ذنباً . وختمـــه بـــهذه العبارة : " إذا قُدّمت – من الآن فصاعداً – شكوى علــــى أحد بأنه مسيحى فليطلق سبيله ، ولا يحاكم كالمـاضـى، إذا كان بالحقيقة مسيحياً . ويجرى القصاص على المشــــتكى بموجب القوانين " . وكان ذلك آخر الاضطهاد الذى بـــدأ فى أيام تراجانوس فى أواخر القرن الأول – واستمر مــدة فى أيام خلفائه – وكان هو الاضطهاد الثالث .

## (٥) الاضطهاد الرابع فى عهد مرقس أوريليوس :

إن هذا القيصر كان متمسكاً جداً بمذهب الرواقيين الفلاسفة الذين ذهبوا إلى أن الله هو روح العالم ، وأن الناس ينبغى لهم أن يعيشوا بحسب الطبيعة والمنطق . ومع أنه كان متصفاً بالمعرفة والإدراك . إلا أنه أصغى كثيراً إلى أعداء المسيحيين ، ولاسيما إلى الفلاسفة الرواقيين . ولهذا لم يكن قيصر – بعد نيرون – اضطهد المسيحيين اضطهاداً مريعاً مثل هذا القيصر . والمُعتبر فى نظر العلماء فيلسوفاً !!.

فأصدر أولاً سنة ٢٦١م أوامر قيصرية غير عادلة ضد المسيحيين ، الذين حسبهم متكبرين وعنيدين وناقصى العقل ، وبعيدين عن الفضائل . وثانياً سمح للقضاة أن يعذبوا المسيحيين لمجرد شكاية الخدم وأراذل الناس . وأن يعاقبهم بعذابات مختلفة ، حتى ولو أنكروا ما اتهموا به!!. وإذا لم تسمح القوانين بقتل مسيحى بدون ذنب، أخذ القضاة – الذين كانوا متعطشين إلى الانتقام منهم – فى إيجاد طريقة يستذنبونهم بها .

ولهذا قتلوا منهم ظلماً عدداً عظيماً من الرجال من كنائس ليون وفيِّنا . وهكذا قاد أوريليوس تعصبه الذميم لدينه الوثنى ، إلى تشجيع الوثنيين على زيادة التنكيل بالمسيحيين . وكانت الشكايات عليهم ، أهمها جحدهم المعبودات الوثنية ، وعدم امتثالهم للأوامر الصادرة بمنع الاجتماعات ، وتلاوة كتب الأنبياء . فكثرت مقاومتهم والحكم عليهم بالموت .

وكان الوثنيون واليهود في آسيا يثورون على المسيحيين – بتعصب أعمى – ويطلبون الإيقاع بهم . وكان السحرة والعرافون يذيعون أن كل البلايا التى تحل على الشعب هى بسبب وجود المسيحيين. وأشهرهم أسكندر البنطى . ولم يكن يُجرِى سحراً إلا إذا تقاضى أُجرته ، وهى إخراج المسيحيين قبل إجراء أى عمل من أعمال سحره ، بغية إيقاد نار غضب الشعب ، وتحريضهم عليهم .

وعند ذلك قام إثنان من أساقفة آسيا وهما القديس ميليتون والقديس أبوليناريوس ، وكتَبا إلى الإمبراطور

احتجاجات فصيحة ومؤثرة ، إلا أنها لم تأتِ بالمقصود . ثم كتب القديس يوستينوس رسالة فى هذا الباب فكانت نتيجتها صدور الأمر بقتله، بعد ذلك بقليل ، ونال إكليله بشهادة للحق .

إلا أن إنذاراً إلهياً أرغم أوريليوس على أن يميل إلى المسيحيين ، وذلك أنه بينما كان يحارب السرماتيين وقبائل أخرى - فى ألمانيا - توغل الجيش الرومانى فى جبال بوهيميا القاحلة . وأحاطت به قوات الشعوب البربرية ، وكانت أكثر منه عدداً . ولما كانت الحرب فى شدة الحر ، ولم يكن هناك ماء ، صار الرومانيون فى خطر الهلاك من شدة العطش .

فدعا أوريليوس وجنوده الوثنيون آلهتهم لتفرج كربهم. فلم يكن لدعائهم نفعاً . وحينئذ جثا المسيحيون الذين بينهم على ركبهم ، واستغاثوا بإلههم . فللحال تغطت السماء بالسحاب ، وهطل مطر غزير فى ناحية الرومانيين . فأخذوا يرفعون رؤوسهم ويتلقون الماء بأفواههم . ثم

ملأوا خوذهم وشربوا هم وخيولهم . وعند ذلك ظن أعداؤهم أن هذه فرصة مناسبة للهجوم عليهم ، إلا أن السماء أنزلت بَرَداً ممزوجاً بصواعق ، بدد شملهم ، بينما كان جنود أوريليوس يستقون ماء عذباً . وهكذا تمكن الإمبراطور من أن يفوز بأعدائه ، ويهزمهم شر هزيمة .

فتيقَّن أوريليوس أن نجاحه من الهلاك كانت بواسطة الجنود المسيحيين . فلقبَّهم بعسكر الرعد ، وكتب إلى مجلس الشيوخ يخبره بهذه الآية . ومن ثم أحسن إلى المسيحيين وأمر بتخفيف القساوة فى معاملتهم . ونهى عن البحث عنهم لعلة ديانتهم . وشيَّد فى رومية بناية ثابتة ليُخلد ذِكر هذه الآية . ويُرَى فيها – إلي يومنا هذا – تمثال هذه الواقعة فى أسفل العامود الأنطونيانى الذى نُصِب فى ذلك الحين .

غير أن أمر أوريليوس بعدم التشديد على المسيحيين لم يُنقض أوامر تراجانوس . فتجدد الاضطهاد – بعد ذلك

بقليل – بأكثر شدة . فكتب فى تلك الأثنـــاء **أثينـاغورس** رسالة احتجاج . ذكر فيها الإشاعات التى كانت تشيع عـن المسيحيين ، ولم يكن لها مايعُضدّها أو يُثبِتها .

ومن جملة ما قاله : " إنه يوجد ثلاث ذنوب يتــهموننا بها عادة ، وهى الكُفر وأكل لحوم الآدميــــن ، وتدنيــس الأقرباء . فإذا كان صحيحاً فقاضونا عليه بدون مراعـــاة سن ولا جنس ، ولكن إذا كانت تُهمـــة لا أســاس لـــها ، فعاملونا بالعَدل ، كما تعاملون أعداءنا .

وسير شهداء ليون – التى أدرجها أوســابيوس فـى تاريخه – يُستَدل منها على التعصب والبغضاء الناشـــئين عن تلك التُـــهَم الشـــنيعة . فكـــان الوثنيــون يطــردون المسيحيين ، ويهربون منهم كقـــومٍ نجســين ، لايجــوز الاقتراب منهم.وكانوا يمنعونهم مـــن دخـــول الحمامـــات العامة أو غيرها من الأماكن العامة . وكان الشعب حيثمـــا وجدهم يوسعهم سباً ، ويرجمهم ، ويسلب أمتعتهم وينـــهب بيوتهم ويطلق لنفسه فى تعذيبـــــهم عنـــان كــل أهوائـــها الوحشية الشرسة .

أما الضعفاء من المسيحيين فكانوا يـــهربون . وأمـــا الشجعان فثبتوا أمام مضطهديهم طلباً للاستشهاد . فكـــانوا يقبضون عليهم ويسلمونهم إلى الحُكم . ويأخذون بعـــض خدمهم الوثنيين ، ويلزمونهم بـــأن يشـــهدواعليهم كذبـــاً ويقرروا عنهم مايريدون . أما أولئـــك الخـــدم المســـاكين فلخوفهم من العذاب كانوا ينسبون إلـــى المســـيحيين كـــل أنواع الذنوب والجنايات . فشاعات تقاريرهم فى النـــاس . فاستشاط الوثنيون غيظاً منها .

ويصعب وصف العذابات التى وقعت فى تلك الفـــترة على المسيحيين الشهداء ، لكى يرتدوا عن الإيمان ويُقـرُّوا بتلك الذنوب ، التى اتُهمُوا بها كذباً ، إلا أن كل ذلك لـــم يُغنِ أعداءهم شيئاً ، بل بقوا ثابتين علـــى إيمانـــهم غـــير متزعزعين. فحُكِم عليهم بأن يُطرحُوا للوحوش الضاريـــة فى المسارح . فاتخذ ذلك أعداؤهم سبب فُرجـــة وبهجـــة لمدة نهار كامل .

## (٦) الاضطهاد الخامس فى عهد سبتيموس ساويرس :

وقد استمرت الكنيسة فى راحة ما ، بعد موت مرقس أوريليوس ، فى عهد مرقس كومودُس . إذا استثنينا بعض آلام أصابت المسيحيين ، لرفضهم الديانة الوثنية . وقيل إن الذى حمل كومودوس هذا على معاملة المسيحيين بالرفق هى سريته مارسيا . وبذلك غدا مسيحيو رومية فى أمن وسلام . وكانوا يتقلدون المناصب العالية والرُتَب الرفيعة. أما باقى المسيحيين فلم يزاولوا هدفاً لسخط القوم. فاستشهد منهم كثيرون . ولما توفى كمودوس سنة ١٩٢م حدث تشويش فى الحكومة ، فأصبح المسيحيون عُرضَّةً لاغتيال خصومهم لهم. ونكلوا بهم فى جميع أنحاء الإمبراطورية.

وفى سنة ١٩٤م تبَّوأ سبتيموس ساويرس كرسى المملكة فعزم – فى بادئ الأمر – أن يُحامى عن المسيحيين لعلمه أن كثيرين منهم من أعضاء مجلس

الشيوخ وغيرهم كانوا من النُبلاء، غير أن الشرائع القديمة – ضد الاجتماعات السرية، والأديان غير المصادق عليها شرعياً – كانت لا تزال تُمكّن الولاة والأهالي الأشرار – في الولايات – من إلقاء التهم جُذافاً على المسيحيين.

وفي سنة ٢٠٢م أثار الوثنيون القيصر – فضلاً عن خوفه من جرّاء ازدياد عدد المسيحيين – فأصدر منشوراً يمنع رعاياه من تغيير ديانتهم . فنجم عن ذلك إثارة الاضطهاد الخامس ضد المسيحيين في أنحاء شتى . وكان هذا الاضطهاد عنيفاً للغاية حتى اتخذه البعض علامة مجئ الدجّال القريب . وفي هذا الزمان نشأت عادة تُوعِد المسيحيين بالوشى بهم ، طمعاً في سلب أموالهم . كما ظهرت فكرة شراء صك العفو عنهم وهو أمر خطّأه كثيرون ، وتسبَّب في الخصام والنزاع في داخل الكنيسة .

وقرب ختام هذا الجيل سُفِك دم كثيرين من المسيحيين ، في كل مكان، بموجب أوامر ساويرس

قيصر . فضلاً عن أن شرائع الملوك السالفين لم تَبطُل لأن الولاة كانوا قادرين بموجب تلك القوانين - كشريعة تراجانوس - أن يضطهدوا المسيحيين بدون أن يكون عليهم أدنى مسئولية .

وعانى ترتليانوس بسبب كتابة رسالة الاحتجاج إلى حاكم أفريقيا ، حيث كان فيها الاضطهاد - بنوع خاص - شديداً ولاسيما على مسيحيِّى مصر ، حيث قاسوا - فى ذلك الاضطهاد - أقسى أنواع الآلام . ويجد القارئ تفصيل ذلك فى كتابنا " تاريخ الكنيسة القبطية " (طبعة مكتبة المحبة) .

**(٧) احتجاج ترتليانوس عن المسيحيين :**

كتب كتاباً تأييداً للدين المسيحىّ سمَّاه " **المحاماة عن المسيحيين** " وفى بدايته أنزل اللوم على الظالمين ، لأنهم يشجبون المسيحيين ، ولا يريدون أن يسمعوا لهم إذ قال : " إن المسيحيين وحدهم لا ينالون الحرية ، للدفاع عن

أنفسهم أمام قضاتهم ، والاستعلام منهم على ما ينبغى معرفته ، ليُحكم عليهم بموجب العدل والإنصاف .

وبيَّن أن القوانين التى تقضى على المسيحيين هى ظالمة وقد سنها ولاة أشقياء عاف الوثنيون أنفسهم عن ذكرهم ، وعن أعمالهم . ثم دحض الملامة الموجهة إلى المسيحيين ، لعدم تقديم العبادة لآلهة المملكة . وبعدما أبان أصل آلهة الوثنيين وشناعة عبادتهم وقباحة طقوسهم ، ختم القول بأن هذه الآلهة لا تستحق العبادة السامية وأن كهنتها أبالسة ، يخدعون البشر فقال : " ايتونى بإنسان ممن تحسبون أن الألوهية حالة فيه ، ويتكلم بالغيب وأنا آتيكم بمسيحى – أيا كان– ويأمره بأن يتكلم. فيضطر إلى أن يقر الشرير بأنه إبليس حقاً .

ثم برأ المسيحيين من دعوى الكُفْر ، مُعلِناً موضوع عبادتهم الحقيقى فقال : " إن إله المسيحيين هو الذى أخرج العالم من العدم بقدرته . ونظمَّه بحكمته . ولايزال يُدبر جميع المخلوقات بعنايته . فلهذا الوجود السامى تشهد الكائنات الجليلة شهادة باهرة .

" والوثنيون أنفسهم – مهما أظلمت قلوبهم من قبـــل الأوهام الكاذبة ، الناتجة من سوء مبادئهم الصادرة عـــن الأغراض النفسانية – فإنهم يشهدون ، من تلقاء نفوســـهم شهادة نفس مسيحية طبعاً ، إذ يـــهتفون عندمـــا تدفعـــهم الأخطار ، قائلين : " يا الله العظيم . أيها الإلـــه الصـــالح خلّصنا " .

" وهذا الوجود – فى كل وقت – يشهد لنفسه مشـــافهة (نظرياً أو عقلياً) وبالكُتب بواسطة الأنبياء الذيـــن أقامـــهم وملأهم (حكمة) من روحه ، فلا يمكن وقوع الشـــك فـــى صحة الكتب المقدسة إذ هى بين أيـــدى اليـــهود أعدائنـــا ويتلونها جهراً فى مجامعهم " .

" ومن المؤكد أن موسى أول كاتب عاش قبل اليونـــان والرومان بزمن طويل وكذلك لم يكن الأنبياء الذين أتـــوا من بعده – أقل أقدمية من أول مؤرخيكم وأول واضعـــى

شريعتكم . ثم أن تحقُّق هذه النبوات يُثبت جلّياً أنها إلهية . فانذرت هذه الكُتب بنكبات لليهود . ونحن نشاهدها اليـــوم تامة ، كما أنذر بها حرفياً . فكان الله سبحانه أتم عليـــــهم نعمة لأجل تقوى آبائهم . ولم يزل حاميهم بوقايته ، حتـــى استحقوا أن يُرذّلهم . فما من أحد لا يرى يد الله الصانعــة النقمة . وها نحن نشاهد حالة التعاسة التى بلغوا إليــها ، إذ نُفوا من بُلدِانهم تائهين فى العالم بأسره ، لا سكن لـــهم ولا ولاة ولا وطن " .

" وهذه النبوات نفسها – التى أنذرت بهذه النكبـــات – شهدت بأن الله سيختار من جميع الأمم وفى كافة البــــلاد عباداً يُحسنون له العبـــادة . فيمنحـــهم نعمتـــه ، إكرامـــاً لاستحقاقات من سوف يكون رئيساً ومعلماً " .

ثم تكلم ترتليانوس عن يسوع المسيح ، وسر تجســده وأثبت ألوهيته بالنبوات والمعجزات وبانبعاثه. وقـــال :" إن ظروف موت المسيح كـــانت ظـــاهرة لأعيـــن الوثنييــن

أنفسهم، حتى أن بيلاطس أشار على الملــك طيبــاريوس قيصر أن يحفظ قصته في سجلات رومية . وطيبــاريوس نفسه لو أمكنه أن يكون قيصراً – ومسيحياً معاً – لكان قد آمن به " .

وبعد أن أثبت ترليانوس صحة الدين المسيحي أخـــذ يُدحض بقوة الافتراءات ، التي كان الوثنيــون ينزلونـــها بالمسيحيين فقال : " إنكم تشكوننا بعدم إكرامنــا الملــوك بالضحايا . أي نعم !! لا نُقدم ضحايا إجلالاً لهم ، لكننــا نتوّسل إلى الله الحقيقـــي الأزلــي ، لأجــل خلاصــهم ، ونوقرّهم ، لكننا لا ندعوهم آلهة ، لأننا لا نعرف الكـذب . ومع ذلك لا شك في أمانتنا لهم . ولكم دليل قاطع لذلك في صبرنا على احتمال الاضطهاد ، فغالباً يُرّجمنــا الشــعب بالحجارة ، ويحرقون مساكننا في ضوضاء أعيــاد الإلــه باكوس (باخوس إله الخمــر) ولا يعفــون عــن الموتــى أنفسهم. فأنهم ينشبون جثثهم ، ويقطعونها أرباً أرباً . فــهل

عملنا انتقاماً من هذه المظالم ؟ ولو شئنا أن نثير حرباً مستترة ، لا نجد لنا جنوداً . وهل نخاف أن نحاربكم ونحن لا نخشى الموت ؟ لولا أن تعاليمنا تأمر بان نحتمل الألم ولا نُنَزّله بغيرنا " .

ثم ذكر ترتوليانوس ما يحدث في اجتماعات المسيحيين ، دحضاً لدعواهم بأنها مشوشة فقال : " إننا كجسد واحد ، لأن ديانتنا واحدة وأصول آدابنا للجميع وآمالنا هي بعينها للكل . فنجتمع لنتضرَّع إلى الله سبحانه جمهورياً ، ليمنحنا مانلتمسه منه في الاجتماعات وهو يعطيه لأن الرؤساء هم شيوخ (كهنة) ذوو فضيلة مختبرة. وقد حازوا هذه الكرامة ، لا بالدراهم بل بحُسن السيرة، لأن في بيعة الله لا يتم شئ بالمال . وإن كان عندنا مالاً ، فلا يُشين ديانتنا قطعاً . فكل واحد يساعد به كما يشاء ، ولا يُجبَر أحد على العطاء . فالمجموع على هذه الكيفية هو وديعة مقدسة لا نصرفها قط في الولائم الباطلة ، بل

نستعملها لإعالة الأرامل ، ولمساعدة المساكين ، وجميع أصحاب البلايا " .

" فما أغرب هذا الأمر !! وهو أن المحبة تكون للبعض علة لذّمنا . فيقولون : " انظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً . انظروا كيف أنهم مستعدون لأن يفدوا حياة بعضهم لأجل البعض " .

إن اتحادنا يذهلهم لأنهم يُبغضون بعضهم بعضاً . وحيث أن لنا نفساً واحدة وروحاً واحدة ، فلا نستصعب قط الاشتراك بالمال . ولا عجب إذن من كَّون محبة – هذه صفتها – تحملنا على عمل ولائم مشتركة تُدعَى " أغابى " ومعناها محبة . فيُقبل إليها الجميع أغنياءً وفقراء . ولا يتم فيها إلا ما كان مُرتدياً بالحشمة والأدب. فقبل أن نجلس على المائدة نقيم الصلاة . ثم نأخذ فى المحادثة على الطعام ، كأننا موقنون بأن الله قائم بيننا . ثم ينتهى الأكل بالصلاة كما ابتدأ " .

ثم قال ترتليانوس : " كيف إذن يصح القول بـــأن لا فائدة منا ، لأسباب المعيشة فى العالم . فإننا نعيش مثلكـــم ونستعمل ما تستعملون أنفســـكم مـــن القـــوت واللبـــاس والأمتعة. فلا نرفض شيئاً ممـــا خلقـــه الله . غـــير أننـــا نتصرف فيه باعتدال ، مقدّمين الشُكر لخالقه . ونسافر فى البحار معكم ، ونحرث الأرض ، ونخدم فـــى الجنديـــة ، ونتاجر معكم . فلأى شئ إذن نستوجب القتل ؟ " .

" فيامن تقضون على المجرمين تكلموا : هل وجدتـــم مسيحياً مُجرماً بينهم؟ فإننى استشهد سجلاتكم ، فيما بيـــن الأشقياء الذين تقضون عليهم كل يوم، هل تجدون مسـيحياً واحداً صانعاً شراً ؟ فإن وُجِد أحد فيكون ذنبه اسمه فقط . وإن كان عليه ذنب آخر فلا يكـــون مســـيحياً . فـــالبرارة عندنا نعرفها جيداً ، لكوننا تعلمناها من الله سبحانه . وهـــو المُعلّم الكامل والأعظم نحفظها بأمانة بما أنها مأمورة مـــن ذلك القاضى الذى لا يمكن أن يغش " .

## (٨) أوريجانوس ودفاعه عن المسيحية :

إن أوريجانوس الذى اشتهر بمحاماته عن المسيحية كثيراً ما قاومه الوثنيون ، حتى أنهم اختطفوه مرة ، وأصعدوه فوق هيكلهم . وقدموا له سعفاً وهددوه بالموت إن لم يقدمه للجمع المحتشد باسم الأوثان . أما هو فنشر الأغصان وقال بصوت عالٍ : " إنى أقدمها باسم يسوع المخلص الوحيد لا غير " .

وفيما بعد كتب كلسوس – عدو المسيحية – كتباً ضد مبادئها . فانبرى له أوريجانوس يفند أقواله (وتجد تاريخ أوريجانوس وبعض أقواله فى دفاعه عن المسيحية بكتابنا: " تاريخ الكنيسة القبطية " ) .

ومن ضمن دفاع أوريجانوس قوله عن الرسل : " فلو لم يشاهدوا المخلص قائماً من الموت ، ولو لم يتيقّنوا من ألوهيته لما كانوا قط عرضّوا بنفوسهم للعذاب

والموت لينذروا فى كل مكان بالتعليم الذى أخذوه عنـــه ، كما أخبرهم. بل لكان موته المُخجِل قد محا من عقولــــهم ذكره. فوجب أن يكونوا قد شاهدوا أمراً خــــارق العــادة حتى اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها " .

### (٩) كنائس المسيحيين فى أزمنة الاضطهادات :

وإليك ما قاله عنها أحد المؤرخين : " إن المســيحيين فى رومية – وفى أغلب الأماكن – لم يكن فـــى وســعهم الاجتماع للصلاة فى كنائس مشــيدة ومعروفــة ، لشــدة الاضطهادات التى كانت واقعة عليــهم . ولــهذا اتخــذوا لأنفسهم سراديب أو خنادق تحت الأرض أشبه بالمغــاير ، كانوا يجتمعون فيها لعبادة إلههم ، بكل طمأنينة . وكــــان بعض هذه السراديب طويلاً جداً يسير فيها الإنسان مســافة أيام . وكان النزول إليها عسراً لعمقها ، ومن كان يلجــــا – إليها بدون مصباح – يعرض حياتــــه للخطــر ، إذ لا

يعرف كيف يخرج منها مرة أخرى (وهـــو مـــا شـــهدناه شخصياً فى سراديب روما سنة ١٩٧٢) .

أما أصل هذه الخنادق فكانت فى مبدأ الأمر محـــاجر تُستخرج منها الأحجار لبناء البيوت وكـــأن الله – بســـابق علمه – هيّأ هذه الأماكن ملجأً أميناً لعبيده المُضطـــهدين . ويُظَن أن بعض المؤمنين كانوا مـــن العمـــال فـــى هـــذه المحاجر . فارشدوا البعض الآخر إليها . واتخذوها ملجـــأً يختفون فيه من وجه الشر ، منتظرين الفرج من عنـد الله. وكانوا يوسعونها ويمدونها حتى لا يسهل علــــى أعدائـــهم الأهتداء إليهم فيها .

ولكن مع ذلك لـــم يكونـــوا فـــى مـــأمن تـــام ، لأن مضطهديهم عرفوا مقرهم – بعد حين – وحنقـــوا عليـــهم أكثر من الأول . وقيل إن بعض المسيحيين اجتمعوا مـــرة فى كنيسة صغيرة حُفرت داخل تلك السراديب لدفن بعض الشهداء . ولما علم بهم القيصر أرسل فسد عليهم البـــاب

ليمنعهم من الخروج فماتوا جميعاً . ومرة أخـــرى بينمـــا كانوا يتعبدون لله ، هجمت عليهم فرقة من الجنود وقطعت رأس الراعى .

وقد استعملت هذه السراديب فيما بعــد لأجــل دفــن المسيحيين. فكانوا ينقرون القبر فى الحائط. إما على شكل رفوف أو على شكل حجرة طويلــة. وبعــد أن يضعــوا الميت فيها كانوا يسدون بابها بحجر كبــير، أو برخامــة منقوش عليها أسماء المدفونين. مع كلمات أخرى ، تــدل على أن أولئك الأموات ذهبوا إلى السموات ، ليكونوا مــع المسيح إلى الأبد . ومما وجُد على تلك القبــور الكتابــات المسيحية التالية :

فقد قرأنا عى قبر : " إسكندر لم يمت ، ولكنه حــى ، عبّر النجوم ، وجسده مستريح فى هذا القبر".

وعلى قبر آخر : " جوليا راقدة بسلام " وعلى آخــر العبارات الآتية " ڤيتاليس عاشت مع زوجها عشر سنيــن

وثلاثين يوماً فى المسيح ، الذى هو البداية والنهاية . ولـها من العمر ثمان وعشرون سنة وثلاثة اشهر " .

وعلى حجرة ضابط شاب – يُقال لـــه مــاريوس – وجدنا الكلام الآتى : " فى المسيح فى أيــام الإمــبراطور أوريان ماريوس ، عسكرى شاب من رتبة الضابط عــاش كفاديه ، وقدم دمه لأجل المسيح " .

ووجد على ضريح آخر كتابة وضعتها خادمة علـــى قبر سيدها وهى " هنا يرقد بسلام هدريانوس وكيل غاليــا الذى صار قتله – مع كل عائلته – لأجل إيمانه " ، خادمــة أقامت هذا (الضريح) .

وقد كتب أحد شعراء ذلك العصر عن هؤلاء الرجــال الصالحين الذين قدموا حياتهم شــــهادة للمســيح الأبيــات الآتية:

المياه الباردة العميقة تنطبق على الواحد .·. وآخر يهرق نهراً قُرّمزياً

لا فرق، كلٍ من المجارى ترجع ∴ حباً للمُعطى الأبدى

ومن اصطبغ بصبغة مجيدة ∴ لبس ثوب الشهيد الظافر

ووجد أيضاً على بعض تلك القبور رسم الصليب وأحياناً بعض أحرف يونانية مركبة بعضها ببعض ، وتحمل اسم يسوع المسيح فى حرفين وبجانبيهما ألفا وأوميجا ومعناهما الألف والياء (A + W) .

وعلى أحد القبور وُجدت الأحرف المذكورة محاطة بنقش إكليل من زهور وحمامة بجانبيهما . وأحياناً توجد سفينة بمعنى أن الذين للمسيح يسافرون إلى السماء. كما تسافر السفينة إلى ميناها البعيد ، قاطعة لُجج البحار الشاسعة .

ونرى كذلك رسوماً تشير إلى لعازر فى اليوم الأخير. ووجدت أيضاً صورة فُلك نوح والحمامة طائرة بجانبه ونوح يمد يده ليدخلها إليه إشارة إلى المسيح الذى

يفتح ذراعيه لقبول الأثيم إليه . ثم وجدت صورة ظريفة - فى عدة أماكن - وهى صورة الراعى الصالح الذى ذهب ليفتش على خروفه الضال. فالظاهر أن المسيحيين القدماء كانوا يتأثرون جداً من محبة المسيح الذى أتى يُفتش على الضالين ويردهم من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة .



# الفصل الثانى

## من مشاهير الشهداء الأوائل

١- سمعان أسقف أورشليم . ٢- إغنــاطيوس.
٣- بوليكربــوس . ٤- ديوناســـيوس .
٥- إيريــناوس . ٦- يوســـتينوس .
٧- شهداء جاليا (فرنسا) . ٨- شهداء أزمير.
٩- شهداء رومية .

### (١) سمعان أسقف أورشليم :

هو ابن كلوبا أو حلفى وأخـــو الرســولين يعقــوب ويهوذا المشار إليه فى (مت١٣: ٥٥) وكان من الســبعين رسولاً . وقد استمر فى مدينة أورشليم إلى وقت استشــهاد أخيه يعقوب الرسول أسقف أورشليم ، فاجتمع المؤمنــون

وأقروا انتخابه خلفاً لأخيه . وقيل إنه قبيل خراب أورشليم ثار اليهود على الرومان . فتذكر هذا الأسقف نبوّة السـيد المسيح عن خرابها . وأشار على المؤمنين بأن يهربوا من أورشليم وأراضيها. فتركوها وسكنوا في عبر الأردن .

ولما اشتد الاضطهاد على المسيحيين - فـي عـهد تراجان قيصر - وكان البحث مستمراً عنهم للتنكيل بـهم . وشى بعض أعدائهم بسمعان الأسقف إلى أتيكوس والـي فلسطين ، بإنه مسيحى ومن نسل داود (ابن خالة المسـيح بالجسد) فأمر بإحضاره لديه . فكان عمره وقتئـذ مائـة وعشرين سنة . فلما رآه الوالى رقّ لشيخوخته . وطلـب إليه أن يترك ديانته ويعيد الأوثان. فبدأ يوضح له فضـل ديانة المسيح ورداءة الديانة الوثنية ، بشـجاعة نـادرة . فحينئذ أمر الوالى بتعذيبه. فجلدوه بالسياط وعذّبوه - أياماً كثيرة - وهو يتحمّل بصبرٍ ، مما أذهل جميع مشـاهديه .

وإشفاقاً عليه من ذلك العذاب حكم عليه بالصلب . فجـــاء بنفسه حاملاً الصليب - كسيده - واستشهد سنة ١٠٧م .

**(٢) أغناطيوس :**

كان تلميذاً ليوحنا الرسول. وأقامه الرسول بطـــرس أسقفاً على إنطاكية . وهو على ماقيل كـــان أحـــد الأولاد الذين قُدِّموا للسيد المسيح ليُباركهم . وقد جاهد في عـــهد الاضطهاد ، الذي أثاره دوميتيانوس علـــى المســيحيين ، جهاد الأبطال ، بحيث أنه لم يفارق رعيتــه مــع ماكــان مُحدقاً بها من الخطر . وكان يقول : " إنني لا أعتقد أنـــي أحب سيدنا يسوع المسيح، من دون أن يُهرق دمـــي كلـــه لأجله " .

وحدث في سنة ١٠٦م أن تراجانوس قيصر - عـــدو المسيحيين - بعدما رجع من قتال الفُرس ، وأقبـــل إلـــى أنطاكية ، وصل إليه خبر هذا القديس ، وشدة غيرته علـى الديانة المسيحية . وبُغضه للآلهة الوثنية . فأمر بـــالقبض

عليه . ولما مَثُل أمامه ، قـــال لـــه تراجــانوس بلهجــة الملاطفة : " أنت هو أغناطيوس الملقـــب بثؤفـوروس ، الذى يُخالف أمرى ولا يعبد آلهتى ؟ " . فأجابـــه القديـــس قائلاً : " نعم ، أنا أغناطيوس صاحب ذلك اللقب " ، فقـــال القيصر : " وما معنى هذا اللقب ؟ " ، فأجابـــه القديـــس : "معناه حامل الله ، لأننى أعتقد أنى إنسان قد كُتِبَ فى قلبــه السيد المسيح الإله " . فقال له القيصر : " أتفتكر بأننـــا لا نحمل آلهتنا معنا فى الحروب ، لكى ننال النصـــر علـــى أعدائنا ؟ " ، قال له القديس : " كيف تعتبر تلك التمـــاثيل الجامدة - التى لا تحس ولا تشعر - آلهة ؟ لا يوجـــد إلا إله واحد ، الذى خلق السماء والأرض ، وإبنـــه الوحيـــد يسوع المسيح الذى تجسّد وصار إنســـاناً لكـــى يُخلـــص البشر" .

فسأله القيصر مستهزئاً : " هل تقصـــد بكلامـــك ذاك الذى صُلب فى عهد بيلاطس البنطى ؟ "، فأجابه القديس :

"هذا هو الذى أعنيه . ياليتك تعرفه أيها القيصر فتحصل على السعادة " .

فقال له القيصر : " دعك من هذا الكلام ، وافعل ما يسرُّنى وينفعك . وهو أن تقدم ذبيحة لآلهتى ، فتحصل على هباتى " . فقاطعه القديس بقوله : " لتكن عطاياك لك. فأنا عبد سيدى يسوع المسيح . وكما قدم ذاته ذبيحة، حباً لى، هكذا أريد أن أُقدم حياتى ضحية له " .

فأصدر الأمر بأن يُربط ويُرسل موثقاً إلى رومية . ويُطرح طعاماً للوحوش ، عبرةً لغيره ، وفُرجَة لأهل رومية. فلما سمع القديس هذا الحكم قبله بمزيد السرور . ولما تقدم الجنود ليقيدوه ، جثا أمام القيود وقبّلها شاكراً . وهتف فَرِحاً : " أشكرك يا إلهى ، لأنك أعطيتنى محبة تامة لك ، ولأنك سمحّت لى أن أُوثَق بسلاسل ، كبولس رسولك ".

وبعد أن قال ذلك أخذ السلاسل وقيَّد نفسه بيده، بعدما صلى للكنيسة ، والدموع تذرف من عينيه . واســـتودعها لرعاية الله .

ولما سمع المسيحيون بهذا الأمر ، أتوا إليه بـــاكين . وإذ رآهم الجنود مُحبيّن له ، ازدادوا قسوة عليه، ليظفـروا منهم برشوة لقاء تخفيف آلامه . أمـــا هـــو فلأنـــه كـــان متعطشاً للشهادة ، خرج مُسرَعاً مع الجنود مـــن المدينـــة يصحبه شماساه " فيلون وأغابوس " . غير أن العسكر لـــم يذهبوا به إلى رومية مباشرة ، بل طافوا به أثناء الســـفر عدة أماكن . لكي يُظهروا للمســـيحيين نتيجـــة التمسُّـــك بديانتهم. غير أنه استخدم عملهم هـــذا وســيلة لتشــجيع المؤمنين إذ كان المسيحيون – في كل المدن التى مرّ بـــها – يتراكضون لمقابلته ، وسماع أقواله . وكثـــيرون منـــهم رافقوه إلى رومية، كما أن بعض مسيحيّى إنطاكية ســبقوا وانتظروه هناك .

ولما وصل اغناطيوس إلى أزمير ، استقبله أســـقفها بوليكربوس - شريكه فى التلمذة ليوحنا الرســول - مــع رعيته بالبكاء . ولكن القديس أظهر سروره ، إذ حُسِــب مستحقاً أن يتألم لأجل المسيح .

فقال له القديس بوليكاربوس : " ليتنى أســتحق أنــا أيضاً أن أقاسى ما تقاسيه " . فأجابه القديس إغنــاطيوس : " ثق أيها الأخ أنه سيأتى وقتك ".

وجاءته وفود كثيرة من قِبَل كنائس مختلفة ، طالبــةً منه أن يُزودّها ببركته ونصائحه . فكتــب لــهم رســالة ووجهها - بالأخص إلى كنيسة رومية - لمــا عــلم أنــها مُهتمة فى إبعاد القتل عنه . فكتب يمنعهم عن ذلك .

ولما وصل القديس أغنــاطيوس إلــى روميــة زاره كثيرون من المؤمنين. وكان فى نيتهم أن يَرْشُوا الجنـــود ليطلقوه . فوبخهم على ذلك . ثم جثا معهم وهم يذرفــون

الدموع . وبسط يديه وباركهم ، وصلى لأجل الكنيسة . وكان الشعب الروماني الوثني قد احتشد في الملعب ينتظر قدومه - بفارغ الصبر - ليرى كيفية إلتهام الأسود إياه . ولما حمله الجنود إلى الملعب صرخ جميع المتفرجين قائلين : " المسيحيون للأسود " .

ثم أدخلوه حالاً إلى الساحة الكبرى ، وأطلقوا عليه أسدين كبيرين ، ولكنهما قبل أن يصلا إليه التفت إلى الجمهور ، وخاطبهم قائلاً : " لا تفتكروا إنى حزين لأجل هذه الميتة ، بل أنا فى فرح جزيل ، لأنى ذاهب إلى من تشتاق إليه نفسى " . وقبل أن ينتهى من كلامه ، وثب عليه الأسدان . وفى أقل من لمح البصر لم يتركا منه سوى بعض عظامه . فجمعها المؤمنون وأرسلوها إلى إنطاكية ، تذكاراً منه .

وهذا البار - على ماقيل - هو ذاك الذى احتضنه المسيح وهو طفل ، وأراه لتلاميذه . وقيل إنه قبل أن

يُطرح للموت أُلقِيَ فى الحبس. ثم جُلِد وكُلِف بأن يقبض على النار . وألصق - على جانبيه - ورق مغموس بالزيت ، وأُجلس على وعاء النار . ثم مُزِق لحمه بملقط مُحمًّى بالنار !!.

وفيما يلى نص الرسالة التى أرسلها القديس أغناطيوس لمسيحيّى رومية :

" إننى نلت من الله - يا أخوتى - وفزت أخيراً بذاك الشئ الذى رغبته ، وتُقت إليه - بهذا المقدار - والتمسته منه تعالى ، وهو إنى أستطيع أن آتى لأشاهدكم أنتم العبيد الحقيقيين لله واللائقين به . وفوق ذلك أتمنى أيضاً أن أكون استمديت من رحمة الله بُغيتى (الإكليل) . فأنا الآن مُقيّد بالسلاسل ، حُباً بيسوع المسيح . وأرجو أننى عن قُريب أصل إلى مدينتكم - هكذا - مقيداً ، لكى أعانقكم المعانقة المقدسة . هذا إن كان يرتضى الرب بأن يقودنى إلى غاية طوباوية هكذا وإلى نهاية مشتهاة منى كثيراً .

فالأمور قد ابتدأت جيداً جداً وأنا أتوسّل إلى الرب - بكل حرارة - فى أن النهاية لمبادئ سعيدة مثل هذه ، ستكون لى أعظم سعادة. أن يسوع المسيح – بتفضّله الإلهى – يرفع من الوسط كل مانع وعائق " (من أجل الإكليل).

" ولكننى أخاف وأنتم قد جبلتم لى هذا الخوف ياأخوتى. **لأنى أخشى من أن حُبكم إياى يسبب لى ضرراً. فإذا أردتم أن تمنعوا عنى استشهادى . فبذلك تعملون مرضاتكم** . غير أن فضلكم هذا سيُوجد لدَّى حُزناً مؤلماً وثقيلاً جداً . وإن كنت الآن أنا من قبل صنيعكم أخسر الاستشهاد - فيما بعد - مستصعباً الحصول عليه من جديد. فأنا لا أريد – ولا بنوع من الأنواع – أن أُرضيكم رضاءً بشرياً ، بل أرغب أن أُرضّى الله وحده . لأنى ربما لا أصادف فى المستقبل هذه الفرصة المغبوطة – مرة أخرى – أن أبلغ إلى إلهى بواسطة سفك دمى . أرجوكم بألا تصنعوا ذلك أصلاً ، بل إن كنتم تحبوننى

حُباً حقيقياً ، وتريدون أن تصـــيرُونى ممنونـــاً لأعمـــال تقواكم. **فدعونى إذ قد تهيأ لى المذبح لأن أقـــرب عليـــه الضحية للرب** . واستعدوا لتوجدوا كلكم حاضرين وقتئـــذ حوله ، مشاهدين ذبيحتى. وهكذا تصورون بالقرب منـــه خورساً حسن العبادة. مؤلفاً منكم أجمعين.

مرتلين التسابيح المبهجة ذات الشكر والمديح لــــلآب الإلهى وليسوع المسيح لأجل أنه عز وجل تنازل إلـــى أن يجتذب من المشرق إلى المغرب مقيداً من بلاد سوريا إلى مدينة رومية - أسقف إنطاكية - ليجعله أن يعترف هنـــاك باسمه العظيم ، ويصير ضحية مذبوحة من أجله . فـــأنتم إذن بواسطة تضرعاتكم وصلواتكم – من أجلى لدى الله – تستمدون لى منه قوة باطنية وخارجةً ، لتتمم عمل عظيـــم كهذا ، ليس فقط أقول بالكلام إنى اشتهى الاستشهاد ، بـــل أيضاً أريده وابتغيه حقاً بالفعل ".

" فأنا كتبت إلى الكنائس وأخبرت الجميع أن يعرفوا أنى - بفرح ورضاء تام - أنا ماضٍ لأموت من أجل أمانة إله الحق . ولا أشاء أن أخاف من أنكم تمنعون عنى ذلك ، لأنى أتوسل إليكم باسم سيدنا يسوع المسيح بألا تريدوا أن تُظهِروا نحوى توددُّاً . لكن دعونى أن أصير طعاماً للوحوش الضارية ، واتركونى أن أذهب هكذا لأمتلاك الله ".

**فأنا الآن مثل قمح منتخب من الرب . ويمكن لى القول أنه يلزمنى أن أطحن بأنياب الوحوش وأعود دقيقاً ناعماً لأصير بعد ذلك خبزاً نقياً جيداً جميلاً ليسوع المسيح ".**

فلهذا أروم أنكم بالأحرّى تراعون تلك الوحوش المزمعة - عن قرب - أن تصير قبراً مُكرّماً لجسمى. وأنا أتوسل لله بأشواق فى أن الوحوش المومأ إليها لا تترك من جسدى شيئاً على الأرض . حتى أنه لا يمكن

لشئ من فُضيَّلات جسمى أن يعود ثقيلاً على أحد، عندما تكون روحى قد بلغت إلى الراحة الأبدية ".

فأنا أوجد بالحقيقة تلميذاً صادقاً ليسوع المسيح . حينما لا يستطيع أحد فى العالم أن يرى – ولا بنوع من الأنواع – شيئاً من بقايا جسدى . فإذن تضرعوا عنى – لدى سيدى يسوع المسيح – لكى أصير قرباناً وذبيحة له بواسطة افتراس من الوحوش، حباً به ".

وهذا هو الموضوع الذى من أجله أنا أكتب الآن إليكم . فأنا لا أرسم عليكم وصايا وأوامر، كما كان يضع نحوكم القديسان بطرس وبولس ، لأن هذين كانا رسولين عظيمين وأنا حقير الفائدة . هما حاصلان على الحرية وأنا عبد صغير وعديم الإفادة . ولكنى إن احتملت الاستشهاد فيسوع المسيح يمنحنى العتق والحرية. وبه أقوم من الموت حُراً .

فأنا الآن – لكونى مُقيَّداً بسلاسل حباً بيسوع المسيح – صرّتُ عارفاً بطلان الأشياء العالمية كلها ومتعلماً كيف أحتقرها خلواً من اهتمام مطلقاً. فأنا دائماً قد عاركت ولم أزل أعارك الوحوش فى مسافة سفرى – الذى ضللّته براً وبحراً – منذ مبارحة بلاد آسيا جائيا نحو رومية الآن" .

" لأننى كائن فيما بين عشرة أسود – تحصرنى من كل ناحية – وهم العشرة جدور المقيدون إياى بالسلاسل والمداومون على حراستي والذين على الدوام يزدادون ضدى شراً وشراسة. ولئن كان يعطى فى من الإحسان. ويعمل معى الخير . غير أنه لأمر صالح لى هو افتراؤهم علىّ وتعليم لى. وهو استعمالهم ضدى الإهانات. ولكننى – مع هذا كله – أنا ماحصلت بعد على التبرير.

فليرتض أذن الرب بأنى خلواً من إعاقة أعود ممزقاً من الوحوش، المُعَدّة لى، بافتراسها إياى. وأنا غير مستعد أن ألاطف هذه الوحوش وألاعبِها، لكى تحترمنى وتهرب

منى. كما حدث مع شـــهداء آخريـــن . بــل أرغــب أن تفترسنى عاجلاً . لأنه إذا اتفق أن توجد الوحوش أيضـــاً مضادة أشواقى – باحترامها إياى – فأنا ســأحُرّكها إلـــى الغضب ضدى. وهكذا أُصيرّها مضطـــرة لأن تمزقنـــى وتأكلنى .

فسامحونى يا أخوانى . عن تكلمى بهذه الصــــورة ، لأنى أعرف جيداً الخير العظيم الذى أرجوه وأتوق إليـــه، نتيجة لذلك".

"إذن أنى ابتدئ هكذا أن أصير تلميذاً ليسوع المسـيح. فلا أريد أن شيئاً ما – منظـــوراً – يقــاومونى عــن أن اكتسب معلمى الإلهى وامتلكه بالتمام . فلتأتِ علـــى آلام النار والوحوش والصلبان وتجريد اللحــم مــن العظــم ، وتفكيك الأعضاء، وتقطيع أجزاء الجســد وسـلخ الجلــد وتمزيق الجسم كله، بل العذابات الممكنـــة كلـــها، الأشــد

قساوة لأنى لا أخافها ولا أعبأ بها، لكونى أطلب راغباً هذا الأمر فقط. وهو أن أفوز ممتلكاً يسوع المسيح".

فكل تنعمّات العالم. وجميع ممالك المسكونة، لا تلذنى ولا تفيدنى شيئاً . بل أنه الأفضل لى جداً الموت لأجل يسوع المسيح من أنى أحكم على أقطار الأرض كلها . لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم بأسره وخسر بذلك نفسه . فأنا أفتش فقط على من مات من أجلنا. وإياه وحده أريد. وأطلب ذاك فقط الذى قام من الموت لأجلنا. وإياه أبتغى، لأنه تعالى هو مجازاتى بأسرها، وهو خيرى الأوحد" .

" فأشفقوا علىَّ يا إخوتى. ولا تريدوا أن تمنعوا عنى أن أحيا مع الله فى سماه. ولا تشاءوا أن ابقى بعد مدة أخرى طويلة فى هذا الجسد المائت، بعيداً عن الله : إذ إنى أروم أن أكون بكليتّى لله ، فلا تدعوا ذواتكم أن تنخدع من آمال العالم الغاشة ولا من رغبات الجسد، لكن

اتركونى أفوز بالغبطة. منيراً ذاتى بالنور السماوى النقى. وإذ أكون قد وصلت إلى السماوات . فحينئذ أصير رجل الله.

فلا تعدمونى الحظ السعيد فى أن أضحى مقتدياً ومغبوطاً بآلام إلهى . لأنه إن كان أحد يحوى فى ذاته الله بالحقيقة - ويحبه تعالى حباً خالصاً أكيداً - فليتأملّن فيما أقوله وألتمسّه . ولما يفهم بالامتحان ذلك الشئ، الذى يضطرنى إلى أن أتكلم على هذا النوع، لا ريب فى أنه يعذرنى فى دعوتى ورغبتى فى ذلك الحب" .

" اعتمدوا كلامى مصدقين. واسمعوا أقوالى متأكدين وهبونى ماأطلبه منكم. بل إن يسوع المسيح عينه يُصيّركم أن تفهموا بنعمته الشئ الذى أنا أتفوّه به. لأنه فمه عز وجل، فم الحق. والله الآب قد تكلم بفمه . فأنا أكتب إليكم لا حسب أهواء الجسد لكن حسب روح الله . فإن أنتم

أردتم أنى أموت – حباً بيسوع المسيح – فتكونــون حقــاً أحببتمونى .

وبالخلاف أن أنتم ما مانعتمونى عن امتـــلاك خــير – هذه صفة عظمته – فتكونون أبغضتمونى في أقصـــى حدود البغضة. " .

ثم أرجوكم بأن تذكروا فى صلواتكــم كنيســة بــلاد سوريا، التى لا يوجد لها الآن راعٍ عوضي ، بــل إن الله وحده هو الذى يسوسها . فيسوع المســيح فقــط، وبعــده محبتكم. يلزمها – فى هذا الوقت – بدلاً من الأســقف، أن تُديرها.

" أخيراً أنا أهديكم السلام من كــل قلبــى وروحــى. ومعى تسلم عليكم الكنائس جميعها التى مررّت عليــها . إذ أن شعوبها كلهم قد اقتبلونى – باسم يسوع المسيح – بمحبة زائدة عن الحدود . وقد عاملونى ليــس كعــابر طريــق غريب ، بل كأحد أخوتكم الأعزاء" .

أكتب إليكم رسالتى هذه باعثاً إياها نحوكم بصحبة أُنـــاس مسيحيين من أهل أفسس. وهم مستحقون مدائـــح جزيلـــة ومسيحيو أراضى سوريا الذين - لأجل مجـــد الله - قــد سبقونى ، وجاءوا إلى رومية . وأعلموا هؤلاء بـــأننى أنا أيضاً صرت قريباً من الوصول إلى هناك . ومن ثـــم أنا أوصيكم بهم إذ أنهم مستحقون ذلك جميعـــه ، ولكـــى تعزوهم بمقدار استطاعتكم . فأنا دونـــت هـــذه الرســـالة متوسلاً ليسوع المسيح بأن يهبكم كل خير حقيقى ، وبـــأن يحفظكم ثابتين على الصبر حتى المُنتهى ، آمين " .

**(٣) بوليكربوس :**

كان منذ صغره مسيحياً واعتمد فـــى عـــهد تيطـــس قيصر ، وقد قال عنه القديس ايريناوس أسقف ليون تلميذه أنه تعلم الإيمان المقدس من الرسل. وعاشر كثيرين مـــن الذين كانوا قد شاهدوا ربنـــا يســـوع المســـيح . وتتلمـــذ للرسول يوحنا ، الذى أقامه أسقفاً علـــى أزمـــير ، وإليـــه

يشير فى سفر الرؤيا حيث يقال : " أكتب إلى ملاك كنيسة سميرنا " (رؤ٢: ١٨) وكان معتاداً على ما قيل أن يقص على أصحابه ما كان يسمعه من الرسل عن المسيح وعن عجائبه. وكان إذا سمع بعض كلمات مضادة للحقائق التى سمعها من الرسل يسد أذنيه ويتأسف .

وفى سنة ١٥٧م سافر إلى رومية للبحث مع أسقفها نكتاس فى مسألة تحديد يوم عيد الفصح ، التى شغلت الأذهان وقتئذ . وقيل إنه صادف فى شوارع رومية مركيون الهرطوقى فحول نظره عنه . فدنا منه مركيون بجسارة وقال له : " أما تعرفنى أنت يابوليكاربوس ؟ " فأجابه القديس : " نعم عرفتك وعرفت أنك ابن الشيطان البكر " . وبعد ذلك عاد بوليكاربوس إلى أزمير للاهتمام برعيته ، لأن ضيق الاضطهاد كان قد اشتد عليهم .

ولما شرع مرقس أوريليوس فى اضطهاد المسيحيين سنة ١٦٦م كان والى آسيا كودراتوس قد اشتد غضبه

عليهم. فاحتمل عذاب الاستشهاد فى مدينة أزمير كثيرون، وأظهروا ثباتاً عظيماً على إيمانهم. فحقد الوثنيـــون علـــى القديس بوليكاربوس لعلمهم أنه هو الذى يشددهم. فصاحوا فى مكان اجتماعهم العام : "فليُبَد المنافقون وليُقبض علـــى بوليكاربوس ". فعزم الوالى على القبض عليه .

أما هو فلم يضطرب بل باشر أعماله حسب عادتـــه لولا أن المؤمنين طلبوا إليه أن يختفى بعـــض الوقـــت . ولفرط لحاجتهم لجأ إلى أحد عصارات الكروم - خـــارج المدينة - وصار يقضى وقته فـــى التضرعـــات لله ليـــلاً ونهاراً ، من أجل الكنائس كلها . وكان وقتئذ قد بلغ ســـن الشيخوخة .

وقبل القبض عليه بثلاثة أيام رأى فى حلم أن الوسادة قد اشتعلت تحت رأسه بالنار . فأدرك من ذلك كيفية موتـــه فجمع أصدقاءه وقال لهم بوجه مبتهج : " يا إخوانى أنـــى عما قليل أحرَق حياً، من أجل ســـيدنا يســـوع المســـيح .

فليكن مخلصى الجزيل العذوبة مباركاً وممجداً . فقد أهلّنى لأن أموت شهيداً . فألح عليه المؤمنون أن يترك المكان الذى كان فيه إلى موضع آخر أبعد . فاستصوب بحكمته أن يطيعهم . فذهب واختبأ فى مكان آخر .

أما الوثنيون فظلوا يفتشون عليه ، لكى يقتلوه ، قبل نهاية العيد الذى كانوا يحتفلون به. وحال خروجه من المكان الأول، وصل إليه جنود الوالى. وإذ لم يجدوه قبضوا على ولدين من فتيان ذلك المكان. وضربوا أحدهم ضرباً عنيفاً، حتى أجبروه على أن يخبرهم عن المكان الذى كان بوليكاربوس مختبئاً فيه . فدخل رجال الشرطة ذلك المنزل ، حيث كان القديس مقيماً . ومع أنه كان قادراً على الهروب لم يرتضِ بذلك، لكنه رفع يديه وعينيه نحو السماء وهتف قائلاً : " لتكن مشيئتك يارب تماماً فى كل شئ "

ثم سلّم ذاته للجُند ، مرحباً بهم . وطلب لهم طعاماً، وبعد ذلك طلب إليهم – قبل السير به – أن يتركوه يصلى ساعة واحدة . فاندهش الجنود من وقار هيبته ولطف كلامه . وقالوا لبعضهم : " لماذا هذا الاجتهاد فى طلب موت هذا الشيخ الوقور ؟! ".

ثم أركبوه حماراً ، راجعين به إلى المدينة فلاقاه هيرودس مدير المدينة . فأخذه إلى مركبته التى كان راكباً فيها مع أبيه . وإذ أشفق عليه هذان، أخذا يقولان له : " إنك قد شخت ولا قدرة لك على احتمال العذاب . فالأجدر بك أن تدعو قيصر سيداً وتقّرب الضحية، لتخلص بحياتك من هذا الموت المُهين " .

أما القديس فتظاهر كأنه لم يسمع كلامهما. فلم يجبهما بكلمة . وإذ رأى إلحاحهما أجابهما قائلاً : " أننى لا أستطيع أن أصنع ما تشيرا به علىّ . وهكذا لا سجن ولا

الجوع ولا أى نوع آخر من العذاب – حتى ولا المـــوت نفسه – يمكن أن يجعلنى أكمل مطلوبكما " .

فاغتاظا منه للغاية ، ووجها إليـــه إهانـــات وشـــتائم وافرة حتى أنهما طرحاه من مركبتهما بعنف . فسقط على الأرض، ولكنه مع ذلك لم يبال بالألم بل سار على حمـاره مزدرياً بالإهانة، وأكمل مسيره بوجه متهلل، حتى وصـــل إلى مكان الملاعب، المعد لقتله حيث كان ينتظره الوالـــى وجمهور كبير من الوثنيين، وهـــم يصيحـــون ويـــهتفون طالبين القضاء عليه. وقيل إنه عند دخوله لذلـــك المكـــان سمع صوتاً سماوياً يقول له :" تشجع يا بوليكاربوس وكـــن ثابتاً " .

لما رآه الوالى وقد انحنى مـــن الكـــبر ، وابيضـّــت لحيته. سأله قائلاً : " هل أنت بوليكـــاربوس الأســـقف ؟ " ولما عرف من جوابه أنه هو بعينه ، أمره أن يُنكر الســـيد المسيح ويشتمه ، إشفاقا عليه من العذاب . فأجابه القديـــس

بسرعة وشغف قائلاً : " **لقد مضت عليَّ ثمانون سنة أخدم فيها سيدى يسوع المسيح الذى لم يفعل معى شراً قط ، بل بالحرى كنت أقتبل منه كل يوم نعماً جديدة ،** فكيف إذن يمكننى أن أقول شراً ضد خالقى ؟ أو أهين حافظى والمحسن علىَّ ؟ ، وهل أستطيع أن أغيظ مخلصى وإلهى الذى هو القاضى الأعلى، العتيد أن يكافئ الأخيار وينتقم من الأشرار المنافقين ؟ " .

أما الوالى فحاول أن يخدعه بالوعود ، ولكنه استمر ثابتاً ، مُعلناً له إن الآلام التى يتهدد بها هى مجده وفخره. وطلب من الوالى أن يشرح له سمو الديانة المسيحية فقاطعه الوالى قائلاً له : " ينبغى أن تُرضِى الشعب " فأجابه " إن هذه النار تنطفئ حالاً . لذلك لا أخاف منها . وأما الخوف فينبغى أن يكون من النار الأبدية المُعدَّة للخُطاة " . ثم ختم كلامه بقوله " ماذا تنتظرون ؟!

أسرعوا بإنجاز ما تريدون " ، قال ذلك بشجاعة ووجهه يضئ نوراً ، حتى انذهل الوالى ، حينما تفرّس فيه !! .

وفى الحال - حسب العادة - هتف منادٍ بصوت عالٍ ثلاث مرات قائلاً : " إن بوليكاربوس قد اعترف بكونه مسيحياً " . فصرخ الجمع المحتشد بصوت عظيم قائلاً : " هذا هو معلم أقاليم آسيا . هذا هو أبو المسيحيين . هذا هو المبيد لآلهتنا . فلتفترسه الوحوش. فأعلن الوالى أن أيام العيد التى كان مسموحاً فيها التفُرّج على الوحوش قد انتهت . فاتفق الكل على أن يموت محترقاً بالنار . فتحققت رويا القديس، عما سيحدث له .

فأسرع الوثنيون وجمعوا الأحطاب والأخشاب ليضرموا ناراً شديدة فى ميدان الألعاب . وبينما هم يستعدون لإشعال النار، كان القديس بوليكاربوس يخلع ثيابه استعداداً للحريق . ولما حاولوا أن يُسمرّوه على خشبة كي لا يمكنه أن يتحرك - عند اشتداد العذاب - قال

لهم : " اتركونى هكذا، فإن الذى وهبنى قوة لكى احتمل شدة حريق النار هو نفسه سيجعلنى ألبث فيها بهدوء ، من غير احتياج لمساميركم . فمن ثم أوثقوا يديه وراء ظهره وحملوه واضعين إياه على الأحطاب المكومة ، كذبيحة وُضعِت على مذبح . وهو يصلى شاكراً الرب الذى أهّله ليموت شهيداً على اسمه المبارك ، ومعترفاً بابنه الوحيد الرب يسوع . وحال انتهائه من صلاته ألقوا على الأحطاب مواد ملتهبة ، ثم أشعلوا النار ، ولكن بقوة الله العجيبة هبّت ريح شديدة وأبعدت اللهب عنه وصارت كخيمة تُظلل عليه . فلما رأوا ذلك استل السياف - الذى كان بجانبه - سيفه وضرب عنقه وصعدت روحه للرب .

**(٤) ديوناسيوس :**

هو أحد اليونانيين الذين آمنوا بواسطة الرسول بولس في مدينة أثينا (أع١٧: ٣١) وقيل عنه إنه كان من والدين شريفين. وتهذب فى مدارس أثينا التى كانت إذ ذاك محط

كل رجال العلوم والمعارف. فنال قسطاً وافراً منها، ممـــا جعله جديراً بمركز رفيع . وقيل إنه قصـــد إلـــى مصـــر ليبرع فى علميَّ الحساب والفلك .

وبينما كان فى مدينـــة هليوبولـــس يرصـــد النجـــوم انكسفت الشمس، وقت صلب سيدنا يسوع المســـيح . وإذ تأمل هذا الكسوف وجده وقت طلوع القمر بدراً . فتحـــير جداً حتى هتف قائلاً : " إما أن إله الطبيعـــة يتـــألم أو أن العالم يأخذ فى الانحلال " .

وقيل أيضاً إنه بعد عودته إلى أثينـــا ، تعـــرَّف مـــن الرسول بولس بحادثة صلب المسيح ، فآمن بـــه . تاركـــاً وظيفته وتابعاً للرسول ، الذى أقامه أسقفاً علىٰ أثينا. فبـــث الإيمان فيها . وبعد ذلك مضى إلى أفسس ليشاهد القديـــس يوحنا الإنجيلى فأشار عليه الرسول أن يمضى إلى روميـــة للاشتراك مع القديس اكليمندس فى خدمة الإنجيل . فعـــاد

إلى أثينا ورسم عليها بوبنيوس تلميذ الرســـول بولـــس . وقصد رومية بصحبة رستيكوس الكـــاهن وألوتـــاريوس الشماس . فتلقاه اكليمندس بترحاب . ثم قصد بعـــد ذلـــك جاليا (فرنسا) ومعه زيول تلميذ يوحنا الرسول .

قلما وصلوا إلى مدينة قريبة مـــن مرســـيليا وجـــدوا مسيحيين كثيرين، كان قد عمدهم القديـــس تروفيمـــوس. فمكث ديونـاسوس عندهم مدة. ثم ترك لهم زيول أســـقفاً. وذهب مع يرستيكوس وألوتاريوس إلى مدينـــة بـــاريس . وطاف في الشوارع ينادي باسم المســـيح حتـــى كســـب كثيرين إلى الإيمان . وبنى كنيستين . فهاج عليه الوثنيـون واشتكوه للوالي الوثني . فقبض عليه هو وكثـــيرين مـــن المسيحيين . وبينما كانوا ماثلين أمامه للمحاكمة، تقدمـــت امرأة واشتكت زوجها بأنه كسّر كل أوثان بيتها . فـأحضر الرجل وحكم عليه بالموت .

ثم وضع القديس ديوناسيوس ورفقاؤه فى السجن ، بعد أن قيدوا أرجلهم بقيود وحجارة كبيرة . وظل الوالى أياماً يستحضرهم لعلهم ينكرون المسيح ، فلم يفلح معهم . وأخيراً أمر بضربهم بحبال معلق بها قطع حديدية . فاحتمل ديوناسيوس - وهو ابن مائة سنة - آلاماً مبرحة، وهو متهلل يترنم، حتى تحير الوالى من هذه الشجاعة . وأمر بتمزيق جسده بمخالب حديدية. فكان يعظ المؤمنين وهو يتألم كأنه لا يُحس بشئ !! .

وأخيراً أمر بقطع رأسه بالسيف . فأسلم روحه بيد المسيح راضياً مسروراً ، حتى آمنت الأمرأة التى اشتكت زوجها ، واستشهدت مع باقى رفقاء القديس ديوناسيوس سنة ١١٧م .

**(٥) إيريناوس :**

ولد بأزمير سنة ١٢٢م ونشأ مسيحياً منذ حداثته وتلميذاً للقديس بولبكربوس، الذى أحبه لما رأى فيه من

جميل الطباع .

وكان ايريناوس يبتهج جداً لدى سماعه مـــن معلمـــه أخبار السيد المسيح التى سمعها بوليكربوس مـــن معلمـــه يوحنا الإنجيلى، ومن الذين صحبوا سيدنا له المجد. وممـــا قاله إيريناوس فى ذلك : " أنه إلى الآن لم يزل ثابتاً فـــى مخيلتى نوع الاحتشام والرصانة التى كان متصفـــاً بـــها القديس بوليكربوس، مع احترام هيئتـــه ووقـــار طلعتـــه وقداسة سيرته . وتلك الإرشادات الإلهية التى كان يعلمـــها لرعيته. وبأبلغ من ذلك كأنى أسمع حتى الآن ألفاظه التـــى كان يخبر بها ، مفصلاً الحوارات التى حدثت بينه وبيـــن القديس يوحنا الإنجيلى ، وغيره مـــن القديســـين، الذيـــن شاهدوا الرب يسوع المسيح على الأرض، وترددوا عليـــه. وعن الحقائق التى أخذها عنهم وتعلمها منهم . نظراً إلـــى كرازة مخلصنا الإلهى وتعاليمه وعجائبه بالأمر المطابق

لما يذكره الكتاب المقدس . بل ولا يمكن أن يكون بخلاف ذلك من حيث أنه صادر من ينبوع واحد هو بعينه ، أى من كلمة الحياة الأبدية " .

وقد ذهب القديس ايريناوس لرومية مرتين . الأولى مع بوليكاربوس ، للعمل على حفظ نقاوة التعليم الإنجيلى وكانت غيرته متقدة ، حتى أنه كان حين أن يسمع بعض كلمات مضادة لتلك الحقائق ، كان يسد أذنيه ، ويُسرع بالرحيل من ذلك المكان .

والرحلة الثانية للبحث فى مسائل دينية . وبينما كان فى رومية ثانى مرة بلغه خبر الاضطهاد العنيف الذى صار ضد المسيحيين فى ليون ، فرجع إليها حالاً . فتعزى به المؤمنون . وأجلسوه مكان بوتينوس فجمع الرعية المتبددة . وكان يطوف فى الأماكن الخطرة بلا مبالاة من العذاب ، إلى أن انتهى الاضطهاد . وقد استطاع أن يأتى للمسيح بكثيرين من الوثنيين - بليون

والبلاد المجاورة لها . وقال عنه يوسابيوس المؤرخ : " تتلمذ له خلق كثير ووعظوا فى أقاليم مختلفة ، ونشروا فيها المسيحية " .

وفى أيام هذا القديس وجد أناس (هراطقة) ادعوا أنهم من تابعى المسيح ، ولكن لم تكن تعاليمهم مطابقة للكتب المقدسة بل كانت مضادة لتعاليم الرسل والمسيح . فحزن إيريناوس من ذلك الأمر وكتب جملة كتب للمحاماة عن الحق ، ولمنع الشعب عن أن ينخدعوا من أولئك المعلمين الكاذبين . وكان فى دفاعه لطيفاً . ولذلك سمى إيريناوس أى " **المسالم** " ومحب السلام .

ومما أورده عن محبته لخلاص الخطاة قوله : " إن الهراطقة يستغلون محبتنا لهم ، ويسمون غيرتنا على خلاصهم قساوة ، لأننا نشدد على جراحاتهم ، فيخرج منها سُم قلوبهم المنتفخة بالكبرياء والعجرفة ونحرق بالكى اللحم الفاسد الميت . ونسأله تعالى أن يخرجهم من

هُوة الضلال ، حتى يرجعوا إلى كنيسة المسيح . فهذا ما نطلبه لهم بكل قلوبنا ، لأننا نحب خلاصهم أكثر مما يحبون هم أنفسهم . ونرجو أن تكون هذه المحبة الصافية مفيدة لهم إذا قبلوها " .

وقد عاش ايريناوس عمراً طويلاً . وفي أواخر أيامه سنة ٢٠٢م أثار القيصر ساويرس اضطهاداته على المسيحيين. ولما كان هذا القيصر والياً سابقاً لمدينة ليون، وعارفا أن هذه المدينة ازدحمت بعباد المسيح ، كان أول من آثار عليهم الحرب ، وقتل منهم عدداً عظيماً ، لعدم تقديمهم الذبائح الوثنية ، في العيد الذى أقيم تذكاراً للإمبراطور المذكور ، حتى كان دمهم يجرى فى الأزقة كالسيل . أما القديس إيريناوس فقد قبض عليه . وبعد أن عذبه عذاباً أليماً ، أمر بقطع رأسه ، ونال إكليله .

+ + +

★ **دفاع ارستيدس الفيلسوف المسيحى للقيصر أدريانوس عن المسيحية :**

إن مانعرفه من سيرة هذا المؤلف المسيحى الشهير هو أنه كان فيلسوفاً إفلاطونياً . وصار مسيحياً ، وأنه قدم إلى القيصر أدريانوس احتجاجاً عن المسيحيين . ونؤكد هذا بشهادة أوسابيوس المؤرخ الكنسى (فى ك ٤ ف ٣) وقال : " واريستيديس كان معاصراً لكدراتس وصار رجلاً مؤمناً بحسن عبادتنا . وقد ترك لنا احتجاجاً (دفاعاً) قدمه من أجل الإيمان إلى أدريانوس ، ومؤلفه هذا موجود عند كثيرين حتى الآن " أى زمان المؤرخ (القرن ٤م) .

وقد وُجِد جزء من احتجاج أريستيديس الفيلسوف هذا سنة ١٨٧٨م فى نسخة أرمينية محررة فى القرن العاشر بهذا العنوان : " من الفيلسوف الأثينى إلى القيصر أدريانوس " ، وقد طبع بالأرمينية مع ترجمته إلى اللاتينية

فى مدينة فينيسية (البندقية) فى إيطاليا . وهـــذه ترجمـــة القطعة الاحتجاجية (الدفاعية) [Apology] :

أيها الإمبراطور :

" إننى خُلقت بعناية إلهية ، وقد أتيت إلى هذا العـالم . وعندما تأملت فى الســماء والأرض والبحــر والشــمس والقمر والنجوم وسائر المخلوقات، تعجبت واندهلت مـــن تركيب هاذ العالم، إلى أن اتضح لى – بعد ذلك – أن هـذا العالم وكل مافيه، يُساس ويُحرك بقــوة عظيمـــة. وأن الله خالق الكل المدبر للكون والمحرك له " .

" على أنى أرى أن البحث عن مـــن يعتنـــى بـــهذه الأشياء جميعها ويسوسها، لبعيد المنال وصعــب المجــال للغاية ، فضلاً عن أن معرفته بالتدقيق لا يمكن الوصـــول إليها ، ولا التعبير عنها ، على مافيها مـــن عـدم الفـــائدة للباحث . لأن طبيعته غير محدودة ولا مفهومـــة. وبعيــد

المنال عن كل إنسان . أما مايحتاج الإنسان إليه فـــهو أن المدبر الكل بعنايته هو رب وإله وخالق الجميـــع. وهــو الذى صنع كل الأشياء بصلاحه. ووهبها لجنس البشـــر . لذلك يجب علينا أن نعبده كإله وحده ، ونسبحه ومجــده . وأن نحب بعضنا بعضاً كمحبتنا لذواتنا . وأن يعرف كــل إنسان أن الإله لم يخلقه أحد، وأنه مالئ الكل، ولا يســعه مكان فى الكون .

" وبما أنه جوهر كائن فى ذاته - وهو حكمة خالدة - فهو أزلى أبدى ، عديم الفساد ، خالد ، غير مفتقــر إلــى شئ ، لأنه هو الذى يسد كل حاجة وعوز ، ولا احتياج له إلى سواه ، لأنه هو الــذى يــهب ويغمــر بفضلــه كــل المحتاجين " .

" وهو أزلى - لأن كل ما لا بداية له لا نهايـــة لــه أيضاً. لا اسم له لأن كل ما له اسم فهو مخلوق من غيره. ولا لون ولا شكل له، لأن من له هذه الخواص يُعدّ ويُحدّ.

هذا الكائن لا ذكر ولا أنثى. لأن من هو هكذا فهو خاضع لسلطان الآلام. لا يمتد تحت السماوات ، لأنه أعلى منها . وليست السماء أكبر منه. لأن السماء وكل الخلائق مخلوقة منه. لا ند له، لأن الند يجب أن يكون مساوياً لنده. لا يتحرك ولا يُحصَى ولا يُعبّر عنه، لأنه لا يوجد مكان يتحرك فيه أو إليه. وبما أنه لا يعد فهو لا يحد، ولا يحيط به شئ. لأنه مالئ الكل وفائق على كل المنظورات وغير المنظورات، لا سخط عنده ولا غيظ. لأنه لا انفعال عنده. بل هو عاقل، لذلك صنع الكل بعجائب متنوعة وبصلاحه الكلي. لا احتياج له قط إلى ضحايا ولا هدايا أو تقدمات، أو إلى شئ مما هو في المخلوقات. لأنه هو الكافى الحاجات، والباقى بعظمته دون أن يشعر بنقصان البتة " .

" فهذا الإله قد منحنى أن أتكلم عنه – عز وجل – بحكمته. وقد تكلمت على قد إمكانى ، بدون أن يُستطاع لي أن استقصى عظمته ".

" ولننتقل الآن إلى التكلم عن أجناس الناس ولننظر من منهم قد اعترف بحقيقة ما قيل، ومن منهم لم يزل تائهاً فى الضلال " .

" لأمرٍ معلوم عندنا – أيها الملك – أن البشر ينقسمون من هذا القبيل إلى أربع فئات : برابرة ويونان ويهود ومسيحيين . فالبرابرة يدعون منشأهم من بعل وزحل ومن بقية آلهتهم – واليونان يدعون أن المشترى هو أب لهم . ويعزون أصل جنسهم إلى ايلنوس وكسونس. وعلى وجه التسلسل من إيللين وايناخس وأخيراً من ذناؤس المصرى وفادوموس الصيدناوى وديونيسيوس الليبائى . واليهود أصلهم من إبراهيم ، الذين يدعون ابنه اسحق وحفيده يعقوب . وأولاد يعقوب إثنا عشر ، هاجروا من سوريا إلى مصر ، حيثما سماهم موسى مسجل شريعتهم " شعب الله " ولما أتوا بعد ذلك إلى أرض الميعاد دُعوا باليهود . وأما المسيحيون فأصلهم من الرب يسوع " .

" هذا هو ابن الله العلى الذى أعلن - بالروح القدس- أنه نزل من السماوات، وولد من عذراء يهودية . وقد أخذ بشريته من العذراء .وظهر فى الطبيعة البشرية كـــإبن لله

وقد كسب العالم بكرازته المسيحية، نظراً لصلاحه الذى أتى بالإنجيل ، وولادته بحسب الجسد من جنس العبرانيين من والدة الإله العذراء مريم . وبعدما قام مـــن الأمـــوات صعد إلى السماوات . وبعث رسله إلى كل العالم . وعلّـــم الجميع . وبحكمة إلهية سامية صنع العجائب .ولـــم تـــزل كرازته حتى الآن تنمّى زهوراً وأثماراً (روحية) داعيـــة العالم بأسره إلى الاستنارة " (العماد) .

(٦) يوستينوس :

وُلِد هذا القديس فى مدينة نابلس التى كـــانت تســـمى قديماً شكيم ، فى السامرة. وكان أبوه بِرنيكـــوس رجـــلاً وثنياً شريف الأصل . فعلم ابنه عبادة الآلهـــة الكاذبـــة ، ولكنه اعتنى بتربيته من جهة العلوم والفنون، قاصداً بذلـك

أن يُصيِّره عالماً حكيماً . ولكن يوستينوس لم يجد في كل المدارس الوثنية التي دخل فيها ما يرتاح إليه ، لأنه كان يشعر – في قلبه – بشوق عظيم إلى أن يبلغ لمعرفة الخير الأعظم والحق الأسمى .

ودرس فلسفات يونانية كثيرة في مدينة نابوليس ، غير أن الله الذي رأى في يوستينوس هذا الشوق لمعرفته لم يمنع عنه هذه المعرفة . إذ بينما كان يمشي يوماً على شاطئ البحر منفرداً عن الناس ، وهو مفتكر في كيفية الحصول على مبتغاه – وهو مضطرب الحال ومنزعج الخاطر – لعدم حصوله عليه . التفت إلى ورائه فرأى بغتة شيخاً تظهر على هيئته الهيبة والوقار .

فأخذ يوستينوس يتفرس فيه معجباً به، حتى دنا منه وأخذا يتخاطبان . وبعد أن أخبر يوستينوس ذلك الشيخ عما كان مهتماً في الحصول عليه وأعلنه بما وصل إليه حسب الفلسفة الوثنية التي تعلمها ، شرع الشيخ يكشف له

عن فساد علمه . وأن معرفة الله والنفس وعواقب الإنسان ومايلزم عمله لنوال الخلاص الأبـــدى لا يدركـــها أحـــد بمبادئ الفلسفة . وأقام على ذلك الأدلة القوية بمـــا جعـــل يوستينوس يقف أمامه منذهلاً مبهوتاً. ويعرف بأن جميـــع الفلاسفة الذين علموه هم أناس مضللون .

فقال له الشيخ : " ولكن قبل كـــل شـــئ يلزمـــك أن تتضرع متوسلاً فى أن تفتح لك أبواب النور وتضـئ لـك - إذ أنه لا يمكن أن يدرك هذه الأشياء إلا أولئك الذين يهبهم الله ومسيحه النور السماوى" .

ولم يتلاقيا بعد . فلعل هذا الشيخ كان ملاكاً أو أحـــد خدام الإنجيل أرسله الله لإنارة ذهن يوستينوس .

وأما يوستينوس فأخذ يفكر فيمـــا ســـمعه . وصـــار يلاحظ المسيحيين وأعمالهم حتى أُعجب بحُسن ســـيرتهم . وحمله ذلك على الإيمان بالمسيح . وقد اعترف هو نفســـه

بأن أحد البراهين التى كانت أقنعته بحقيقة الإيمان بالمسيح هو شهادة بالشجاعة وبعدم الخوف من الموت ، وباحتقار كلى للمؤمنين للأشياء الزمنية (الماديات) وكان الشهداء يسفكون دماءهم بفرح على هذا الإيمان .

ومما قاله حينئذ : " إنى أجد أن للمسيحية جلالاً مهيباً جديراً بأن يتهدد السالكين فى طرق التعدّى والمعصية ، بقدر ما يؤتى لذة وسلماً وسكينة ، لمن سار فيها " .

ثم انكب على قراءة الكتب المقدسة بتأنٍ وإمعان ، فوجد فيها كل ماكان قد أناره به ذلك الشيخ . ولأنه كان عالماً بمذاهب الفلاسفة الوثنيين وضلال اليهود ، جعل دأبه الجدال معهم . فأقنع كثيرين منهم وضمهم إلى حضن المسيحية . ثم انطلق من فلسطين إلى رومية وكان حسن صيته قد بلغ سمع المؤمنين بها . فقابلوه بسرور ورُسِم قساً . وكان يعظ الشعب بغيرة كلية، حتى قال عن نفسه " لكى لا أدان فى المحكمة الإلهية . فأنا مستعد للتنفيذ

بنفسى هكذا ، حتى أن لا أفتكر أى شــئ عمــا أقولـــه ، وأعلم به إلا أن أسلك فيه وأتكلم به بغير خوف " .

وكان من نتيجة محاوراته - المقرونة بنعمة الله - أن المسيحية انتشرت وامتدت أكثر فى رومية .

وكان الوثنيون واليـــهود - فـــى تلــك الأوقــات - مجتهدين في إذاعة الأخبار المشوشة عن المسيحيين ، فــى إتهامهم بالتُهم الشنيعة ، ليزداد الشـــعب كراهيـــةً لـــهم . فانبرى لهم يوستينوس وأخذ يدحض دعاويهم ، ويُكــــذب أقاويلهم. ويحامى عن المسيحيين . فلـــهذا ألّــف رســالة طويلة وقدمها (نحو سنة ١٥٠) للقيصر أنطونيوس بيوس، مقنعاً إياه بحسن ســلوك المســيحيين .وبوجــوب وقــف الاضطهاد عنهم . وقد روى أوروسيوس المؤرخ القديــــم أن القيصر لما قرأ تلك الرسالة أثرّت فيه كــل التــأثير . فاستراحت الكنيسة من اضطهاده لها .

ولما كان المسيحيون فى تلك الأزمنة يكتمون عن الوثنيين إيضاح بعض حقائق الإيمان . كان الوثنيون يشيعيون عن اجتماعاتهم تُهماً كاذبة . لذلك رأى يوستينوس أن يورد فى رسالته تلك (Apology) بعض حقائق الإيمان وشرح نظام عادة (طقوس) المسيحيين .

ثم أن يوستينوس انتهز فرصة هدوء الكنيسة فأخذ يُبشّر – بأعظم غيرة وبأوفر حرية – بالتعليم الإنجيلى وتأييده بالكتابة . فوضح جملة مؤلفات جليلة ضد الهرطقات التى نشأت وقتئذ فى الكنيسة ، لاسيما هرطقتى الماركونيين والغالاتيين . كما أن المحاورة التى جرت بينه وبين تريفون اليهودى – فى مدينة أفسس – تمكن بها من تأييد الديانة المسيحية ضد رداءة اليهود . وهذه المحاورة القديمة لا نظير لها فى البراهين الروحية والعقلية المقنعة .

وكان في سنة ١٦١ تولى عرش الإمبراطورية مرقس أوريليوس . فسمح للفلاسفة الوثنيين أن يضطهدوا المسيحيين في كل مكان . وكان أحدهم المدعو "كراشان" يقاوم في مدينة رومية عادات المسيحيين بحدة .

ولذلك طلب من يوستينوس أن يقيم معه جدلاً فافحمه يوستينوس وحل به الخجل أمام الجمهور . وإذ رأى يوستينوس شدة الاضطهاد على المسيحيين، ألف رسالة ثانية في الدفاع عنهم . وقدمها إلى القيصر مرقس أوريليوس ، مقاوماً بها أكاذيب الفلاسفة ، التي كانوا بها يحركون اضطهاد المسيحيين . وفي هذه الرسالة يورد حادثاً يستحق الذكر وهو أن إحدى النساء الوثنيات قد كانت ذات سيرة رديئة ليست بأقل من رجلها . فهذه بعد أن اعتنقت الإيمان بالمسيح لم تقلع عن سيرتها الردية فقط بل انتقلت إلى حياة مقدسة. واجتهدت أيضاً في اجتذاب رجلها عن الرذائل، واعتناق الفضائل نظيرها ، مبرهنة

له عن نقاوة تعليم المسيح، وعن النار المُعّدة لعقاب أولئك الذين يشبهون الخنازير، ويستخدمون الزواج للشهوة والفساد ، ضد غايته الحقيقية المستقيمة ، التى تعلم بها المسيحية .

ولكن لما لم تستفد من اجتهادها فى خلاصه ، قررت أخيراً الابتعاد عنه لرداءته . فذاك الأثيم عوضاً عن أن يفرح برجوع إمرأته عن سيرتها الأولى الردية ، قد استشاط ضدها غضباً . واشتكى عند الوالى بأنها مسيحية، ولأنه كان يعلم أن إرشادها بالإيمان بالمسيح قد كمُل بواسطة رجل يسمى تولوماوس . فقد أمر قائد المائة أن يقبض عليه ، بصفته مسيحياً . وهذا لما مثل أمام أوربيكوس حاكم مدينة رومية . قد سُئل عما إذا كان مسيحياً ؟ ولما اعترف بذلك بشجاعة . فلأجل مجرد كونه مسيحياً ، حكم عليه الوالى المذكور بأن يعذب بأشد وأفظع عذاب ليموت . وقد كان حاضراً حين صدور

الأمر الظالم رجل مسيحى يدعى لوكيوس . وإذ لم يمكنه أن يحتمل منظر هذا الظلم هتف صارخاً : " بأية ذمة تحكم ياأوربيكوس على إنسان بالعذاب والموت من دون أن يكون مذنباً بأثم ما، بل لمجرد اعترافه عن ذاته بأنه مسيحى ؟".

فأوربيكوس من دون أن يجاوب لوكيوس عن شئ ، سأله بكل غضب إن كان هو أيضاً مسيحياً ؟ ولم ينكر لوكيوس بل اعترف بالإيمان بالمسيح . فحكم عليه أوربيكوس بنوع الحكم عينه. الذى صدر منه ضد تولوماوس .

فلوكيوس اقتبل هذا الحكم بتقديم الشكر لله، على أنه تعالى أنقذه من أن يشاهد حكاماً ظلمة بهذا المقدار. وهكذا انتقل إلى السماء . وإذ حضر بعد ذلك رجل آخر معترفاً بالمسيح . قد حُكم على الثالث بالحكم نفسه .

فكتب حينئذ يوستينوس الكتاب المار ذكره. وأوضح به الظلم الواقع على المسيحيين ، وقال : " إنهم لو كانوا بالحقيقة قوماً أشراراً لما كانوا يقبلون الموت بفرح ، كما كانوا يفعلون ".

وأشياء أخرى كثيرة كتبها لعل الإمبراطور يعاملهم بالرحمة . فلم يُجْد ذلك نفعاً . واستمر الوثنيون على مُعاندتهم، وإضرارهم للمؤمنين .

ولما كان الاعتراف بالمسيح - فى تلك الأزمان - سبباً كافياً للإعدام، لم يخْشَ يوستينوس أن يقدم رسالة على هذه الصورة. وأضاف عليها إيضاح رياء الفلاسفة الذين كانت لهم سطوة عُظمى لدى القيصر . فوشوا به إلى روستيكوس حاكم المدينة بأن تعاليمه وكتبه تقوّى المسيحيين فى دينهم وتزيدهم عدداً . فاستدعاه إليه - مع

ستة من رُفقائه - واجتهد فى إقناعهم بوجوب الخضـــوع للآلهة الوثنية، والسجود لها .

وسجل أحد الكُتاب سيرة ذلك القديس ووصف كيفيـــة محاكمته واستشهاده فقال :" وقف القديس يوستينوس أمــام روستيكوس حاكم مدينة روميـــة فـــى مجلـــس ديوانـــه الاحتفالى . وهذا حرضـــه أولاً علـــى الطاعـــة للآلهـــة وللأوامر الملوكية . وإذ أجاب القديس بأنـــه لا يجـــب أن يوبخ من يحفظ وصايا مخلصنا يســـوع المســـيح ولا أن يحكم عليه بالقصاص لأجلها ، قد سأله عما يجعله يتمسـك بالمسيحية . فأجاب الشهيد قائلاً : " إننى بعد اختبارى لكل مذهب ودين. تمســكتّ بالمســيحية التـــى - وأن كـــانت مكروهة من الغير - فلأنهم فاسدون وهى تأمر بالطهارة".
فقال له الحاكم :" فإذن أنت تتمسك بهذه الديانـــة مفتخـــراً بها. فأجابه الشهيد : " نعم أننى تابع لتعليم هـــذه الديانـــة المستقيمة " .

ثم سأله الوالى. وماهو هذا التعليم ؟ فقال له القديس: " إن التعليم القويم الذى نحن متمسكون ، يتوقف على أن نعترف بإله واحد فقط . مبدع جميع الأشياء المنظورة . وخالق كل الكائنات التى تقع تحت الحواس الجسدية أيضاً. وأن نؤمن بأن يسوع المسيح ابن الله المنذر به من الأنبياء ، وهو المبشر والداعى للجنس البشرى بالخلاص. وهو مُعلّم أولئك الذين لأجل حظهم السعيد يستمعون تعاليمه الإلهية . ولكننى بعيداً جداً عن أن أستطيع أن أدرك بعقلى - وأوضح بلسانى - شيئاً يكون أهلاً لوصف عظمته غير المتناهية . بل ينبغى للتكلم عن ذلك. حكمة عقل الأنبياء. وفصاحة ألسنتهم الذين استوعبوها من الروح الإلهى . وقد سبقوا قبله بأجيال عديدة وأخبروا عن إتيانه فيما بعد إلى العالم " .

فحينئذ قال روسيتكوس للشهيد فى أى مكان يجتمع المسيحيون اعتيادياً " . فأجابه يوستينوس . أنهم يجتمعون

كل واحد منهم حيثما يشاء وأينما يمكنه ذاك . فهل تظـــن أننا نجتمع كافة فى مكان واحد فقط هو هو بعينه ؟ فليـس الأمر كذلك . لأن إله المسيحيين لا يوجد فى مكـــان دون غيره . هو موجود فى كل مكان ، ولا يميز مكانـــاً عــن آخر . بل أنـــه غــير منظــور ولا محســوس ، ويمــلأ السماوات والأرض . ومن ثم يُسجَد لـــه ويُعبَــد ويُسبح ويُمجد، ويُبَارك من المؤمنين، فى كل مكان .

ثم أردف الوالى كلامه بقوله للقديس : " فأنـــا أريــد منك أن تحدثنى فى أى مكان لكم عادة أن تجتمعوا وأنــت نفسك فى أى محل تجمع تلاميذك ؟ " . فقال له الشــهيد : " إنه بالنسبة إلىّ ، فأنا أسكن قريباً من بيت رجل يدعــى مارثينوس بجوار الحمام المسمى تيميوتيوس . وهذه هــى المرة الثانية التى فيها حضرت إلى رومية وعلى نوع مــا أعرف محلاً آخر من المدينة . فــإذا كــان أحــد يــأتى ليزورنى فأنا كنت دائماً مستعداً لإرشاده بالتعليم الحقيقى .

فأضاف روستيكوس قائلاً : " فإذن أنت مسـيحى " . فأجابه القديس : " نعم إن الأمر هو هكذا . وأنا مسـيحى . أنا مسيحى " .

فالتفت الوالى إلى أولئك المسيحيين الذيـن حضـروا بصحبة القديس يوستينوس . وأخذ يسألهم – مبتدئـاً مـن المعترف خاريطون ومن المعترفة خاريطونا - إن كانـا هما أيضاً مسيحيين. وإذ أجابا بثباتٍ عزمٍ أنهما مسـيحيان. قال بعد ذلك لأفاليسطوس : " وأنت ماذا تكون ؟ " فأجابـه أفاليسطوس : " أننى عبد لقيصر، ولكنى مسـيحى ، قـد اقتبلت من المسيح الحرية الحقيقيـة ، وبواسـطة نعمتـه وإحسانه إلىّ ، فأنا مشترك بالرجاء مع الآخرين ، الذيـن تراهم أمامك " .

بعد هؤلاء سأل " جاراركة " إن كـان هـو كذلـك مسيحياً . فأجابه : " إننى حقاً وحقاً مسيحى ، لأنى أعبـد الإله الحقيقى نفسه . وأسجد له" فقال له الوالى : " ألعـل

يوستينوس قد صيرّك مسيحياً ؟ فأجابه : " إننى كنت ولـم أزل مسيحياً " . وفى هذا الوقت اعترف رجل آخر يسمى " بادنة " بأنه هو أيضاً مسيحى . وإذ سأله ممن كان قـد تعلم هذا الإيمان ؟ أجابه إننى من والدى قد اقتبلت الإيمان بالمسيح " وحينئذ قال أفاليوس وأنا أيضاً . ولئـن كنـت سمعت – برغبة وبسرور – خطاب يوستينوس ، ولكـن ليس بأقل من ذلك، قد تعلمت من والـدىّ أنفسـهما ، أن أكون مسيحياً. ولما سأل الوالى أين هما والداه قـال لـه أنهما فى بلاد الكبادوك (بآسيا الصُغرى) وإذا طلب مثـل ذلك من جاراركة أجابه قائلاً : " إن أبى الحقيقى إنما هـو يسوع المسيح وأمى الحقيقية إنمـا هـى الأمانـة التـى بواسطتها نؤمن بـه تعـالى ، ومـن حيـث أن والـدىّ الأرضيين قد ماتا، فقد حضرت إلـى هنـا مـن مدينـة ليكاؤنية من إقليم فريجيا (بآسيا الصُغرى) .

فأخيراً إذ سُئِل ليبارنوس من الحـــاكم إن كـــان هـــو أيضاً مسيحياً فأجابه: " إني أنا أيضاً مسيحى ، لأنـى أعبــد الإله الواحد الحقيقى واسجد له " .

فنظر وقتئذ الوالى - نحو يوستينوس - مخاطباً إيـــاه هكذا : " قل لى أنت الآن ، يامن تدعّى الفصاحة ، وتظــن بنفسك أنك حاصل على الحكمة الحقيقية. هل بعد أن تُجَلـد بقساوة وتُقطع رأسك، تتأكد بأنك تصعــد إلـــى الســماء؟" فأجابه يوستينوس : " هكذا أرجو أنى بعد احتمـــالى ذلــك سأحصل على إتمام الوعود ، والمكافأة المعـــدة لأولئــك الذين يحفظون بثبات قضايا الإيمان ، ويتممـــون بأمانـــة الوصايا التى أوصى بها المسيح " .

فأردف الوالى بقوله : " فإذن أنت متمســـك بـــالرأى بأنك تصعد إلى السماء وهناك تـــأخذ مكانـــاً ؟! " أجابـــه القديس : " إنى لست مرتاباً بذلك بل عالم بتـــأكيدٍ ، خـــالٍ من كل ارتياب " . قال الوالـــى . " ولكـــن فلْنعُـــد إلـــى

موضوعنا ، وإلى الشئ الذى يهمني بـــالأكثر . فـــاتحدّوا أنتم جميعاً - بنية واحدة - وضحُّوا للآلهة " .

فأجاب عن ذلك يوستينوس وقال : " إنـــــه لا يوجـــد إنسان يكون صحيح العقل يرفض التقـــوّى ويعيـــش فـــى النفاق والضلال " ، فقال له الوالى : " ولكن إذا أنـــت لـــم تطع أوامرنا فمن دون شك ستُعاقب بغير رحمة " فأجابـــه الشهيد : " إنه بالحقيقة هذا هو الشئ الذى نحـــن نصبُـــوا إليه بشوق أى أن نتكبد العذاب حباً بيسوع المسيح سيدنا . وهكذا ننال الخلاص لأننا بهذا الألم سنكون أمامه تعـــالى بوجه مبتهج ونقف مسرورين أمام عرش فادينـــا يســـوع المسيح ، وهو اليوم الرهيب الذى يلـــزم العـــالم جميعـــه بالضرورة - وبموجب التدبير الإلهى - بأن يحضر فيـــه . وقال كذلك الشهداء الآخرون ، مضيفين إليه قولهم للوالى: " اصنع عاجلاً كل ما يُعجبك. فنحن جميعنا مســـيحيون ، ولا يمكن أن نضحى للأوثان " .

فلما سمع الوالى ذلك جميعه أصـــدر حُكمـــه ضـــد الشهداء المذكورين. وهو أن أولئك الذين لـــم يريـــدوا أن يضحوا بالقرابين للآلهة ، ولم يشاءوا أن يطيعـــوا أمـــر الملك ، فليعاقبوا أولاً بالجلد . وبعد ذلك فلتُقطع رؤوســهم، كما ترسم الشرائع ".

فعلى هذه الصورة قد سيق القديسون الشـــهداء إلـــى المكان المعين لأجـــراء الأحكـــام ، فرحيـــن مســـرورين مُسبحين لله . وبعد أن جُلـــدُوا قُطِعـــت رؤوســـهم وأمـــا أجسادهم الطاهرة - فبعناية كلية واهتمام عظيم - قد نُقلت ودُفنت فى مكان لائق . وهذا جميعه قد حدث ســـنة ١٦٧ للمسيح .

- **وهذه فقرات من احتجـــاج (دفـــاع) Apology يوستينوس :**

" إن الذين هم فلاسفة حقاً لا يعتبرون ولا يحســـبون شيئاً آخر سوى الحق، ولا يتبعون آراء الشعب الجـــاهل .

فأنتم الذين تدعوكم الناس فلاسفة أتقيـــاء، أظـــهروا الآن حقيقة ذلك ونوّروا دعواكم بالبينات الساطعة لكى نكـــون على بصيرة فى هذه القضية . على أننا فى كتابنــــا هـــذا سنذكر لكم الحق ولسنا نطلب منكم إلا أن تحكمـــوا بعـــد الفحص البليغ بالحق والعدل. أما نحن فقد تحققنـــا أنـــه لا يقدر أحد أن يضرنا بشئ مالم يُثبِـت علينـــا أثمـــاً، نعـــم تقدرون أن تفتكوا بنا . ولكنكم لا تستطيعون أن تضرونا".

ولكى يتضح أن كتابى هذا لا يتضمن إلا الحق، فإننـــا نطلب منكم أن تفحصوا – بكل تدقيق – عما يُنسَب إلينـــا من الإثم . فإن ثبت علينا ذلك ، فأدبُّونا بمقتضى العـــدل، ولا تعاملونا بالرحمة . فإننا لا نريد عند ذلك أن تُـــترفقوا بنا ، ولكن إذا عجز أعداؤنا عـــن إثبـــات تلـــك التُـــهم ، والذنوب التى طالما أتهمونا بها فلا يتعذَّب من كان بريئـــاً مما يُتهم به باطلاً . وقد اقتضت الحال أن نُبرِئ أنفســـنا، لئلا تثبت التُهم علينا بصمتنا" .

" لا ريب أن الحُكم على أحد بالعذاب ، لأجل مجرد كونه مسيحياً هو أمر يُضاد العدل . أفلعل المسيحي يُنكر وجود الله تعالى لأجل عدم سجوده للشياطين ؟ فأما أولئك الآلهة فنصرّخ بأننا ننكر وجودها . ونظراً إلى أن الإله الواحد خالق الجميع الذى يحب العدل والعفة وبقية الفضائل . ويثيب على الخير ، ويُعاقب على الشر . فإننا نؤمن به ونعبده ، ونسجد لعزته ونعبد معه ابنه الوحيد المساوى له فى جميع الكمالات الإلهية والذى تجسَّد ليُنقذ البشر من خطيئة آدم . ولم يزل مع ذلك إلهاً . وهو نفسه الذى كشف لنا هذه الأسرار ، ومهّد لنا الطريق الذى يؤدى إلى السعادة الأبدية . فنحن إذن إن اعتقدنا أن فى الله تعالى ثلاثة أقانيم فلا نعتقد إلا بإله واحد وإلا لفسد الكون ، وتغيَّر نظام المخلوقات " .

ولكى يبين أن يسوع المصلوب هو إله حقاً قال :"وإن يسوع المسيح هو صاحب العلم الصواب والسامى ، والذى يُغيّر تغييراً كلياً الذين يعتصمون بتعليمه " .

ثم قال : " كنا قبلاً متعبدين للشـــهوات ، وأصبحنـــا اليوم نسير سيرة عفيفة . كنا مُغرمين بجمع المال، واليــوم نجعل كل ما لنا مشتركاً، لنُشارك فيه غيرنا . كنا نبغــض أعدائنا واليوم نحبهم ، ونصلى لأجلهم . ثم أننا نرجو بعــد الموت حياة مؤبدة سعيدة – فى السماء مـــع الله – وهـــى جزاء الذين يحفظون الشريعة التى تُنهى عن كـــل شـــر ، ولا تحتمل أثماً واحداً ، بحيث لا يدخل ملكوت الســـموات شئ دنس أصلاً ".

• بناء عليه، فليس الذين يدينون الناس – بعد المـوت – هومينوس أو رافامنتوس ، أو غيرهما من (آلهتهم الكاذبة) كما زعم أفلاطون وشعراؤكم ، وإنمـــا الديـــان المُطلـــق الوحيد ، هو سيدنا يسوع المسيح ، الذى يحكم على كـــل أثم بالعذاب الأبدى . فنحن إذن نرجو وننتظر مُلكاً سماوياً لا أرضياً ، كما زعم أعداؤنا الكذابوٌن " .

" ولو كنا ننتظر مُلكاً أرضياً لما كنـــا نمضـــى إلـــى الموت بسرور . بل كنا ننكر أننا مسيحيون " ثم أورد بعـد ذلك وصايا أدبية من وصايا يسوع المسيح وقال : " أنكـــم لو تنازلتم إلى فحص مبادئنا وسيرتنا ، فلستم تجدون فـــى المملكة من يحب بقاءها ، ويسعى لتأييدها مثل المسـيحيين . على أننا نؤمن بالله وأنه لا يُخفَّى شئ عليـــــه . وبـــهذا الاعتقاد نفسه تصير فضائلنا خالصة من الرياء . وهـــوذا أنتم – مع ممارسة طقوسـكم القاسـية – لا تقـدرون أن تضبطوا الأشرار ولو كانوا يعتقدون مثلنـــا بوجـود إلـــه واحد، مُطلّع على أخفىّ أسرار القلوب ، لكان الخوف منـه يصدهم عن فعل الشر ، فيرتدون عن كل فكـــر شـــرير ، ولكن الظاهر إنكم لا تريدون أن الجميع يُحسِنُون سيرتهم، بحيث تضطهدون الذين يعبدون الإله الواحد ، الذى يعاقب على الأفعال والأقوال وحتى الأفكار . فإنه يُؤاخِـذ حتـــى على أدنى فكر ردئ " .

ثم أثبت صدق الديانة المسيحية بالنبوات التى جُمعت وحُفظت على نظام الأزمنة التى سُطرت فيها. ويعتمد بالخصوص على النبوة المتنبأة عن خراب أورشليم وتبدد اليهود ، ودعوة الأمم . وبعدما أبان إتمام النبوة الشهيرة الذى كان وقتئذ حديثاً ، وفيه دليل واضح على صحة المسيحية ، واستنتج أن باقى النبوات – ولاسيما تلك التى توضح مجئ يسوع المسيح الثانى والبعث والدينونة العامة– ستتم فى أوانها .

وأخيراً أخذ يُدحِض التُهم التى كانوا يُشيعونها عن اجتماعات المسيحيين . وبرهن عن قداسة الديانة المسيحية وطهارة طقوسها ونقاوة عبادتها . وبراءة تابعيها من التُهم الكاذبة ، موضحاً كيفية سيرتهم المطابقة لتعاليم المسيح ووصاياه ، وحفظهم إياها بالتدقيق ، ومُقنعاً بطهاراتهم ليس من الأعمال الدنسة الخارجة فقط ، بل من الأفكار الباطنة المضادة للعفة أيضاً . ومورداً أمثلة

لكثيرين منهم - رجالاً ونساءً - بلغوا إلى سن الســـتين أو السبعين من حياتهم التى عاشوا فيها - منذ نعومة أظفارهم - ضمن ديانتهم المسيحية ، من غير مباشـــرة العلاقــات الجسدية ، بل بحفظ البتولية .

ثم يضيف إلى ذلك قــائلاً : " فنحــن المســيحيين لا نعتنق دعوة الزواج إلا لغاية إيلاد البنيــن، والاهتمـــــام بتربيتهم الحسنة . وإذا لم ترضنـــا الدعــوة المذكــورة ، فنعيش بطهارة دائمة ، مبرهنين بــأن غايــة المســيحيين ورجاؤهم الوحيد هو نوال الســـعادة الســماوية والحيــاة الأبدية . ولهذا يبتعدون عن كل خطيـــة ، تُفقدهــم ذلــك الهدف ، ولو كانت مخفَّية عن عيون البشر ، لعلمـــهم أن مخلصهم يسوع لا تخفًى عليـــه خافيــة ، ولا هواجــس القلوب الدنسة " .

وأنهى القديس يوستينوس خطابه قائلاً : " إن رأيتـــم هذا التعليم صواباً اعتبروه كما يحق له من الاعتبــار، وإن

لم يُعجّبكم فلا تعتنقوه ، ولكن لا تحكموا لأجله بالقتل على أُناسٍ لم يصنعوا أدنى شر " .

ومما كان يقوله يوستينوس : " إن مثل المسيحيين فى العالم كمثل النفس فى الجسد . فكما أن النفس داخل الجسد وليست منه، كذلك المسيحيون ، فأنـــهم داخــل العــالم ، ولكنهم ليسوا منه " .

(٧) شهداء غاليا (فرنسا) :

ثار الاضطهاد ، خاصة فى ليـــون، التـــى بشـــرّها الرسل بأنفسهم . ورسموا عليها أولاً تروفينوس . ومنـــها انبعث نور الإيمان للأقاليم المجاورة . ونظـــراً لســرعة انتشار الإنجيل هاج الوثنيون وشـــرعوا فـــى اضطـــهاد المسيحيين . فمنعوهم من دخول الأسواق وسائر المحـلات العمومية ، مهددين إياهم بالإهانات والشتائم . وكانوا كلمـا شاهدوهم يضربونهم ويرمونهم بالحجارة . وأخيراً أخـــذوا

يحضرونهم - أمام الولاة - وقد وجُدِت أخبار تلك الاضطهادات - بالتفصيل - فى رسالة أولى بعثها مؤمنو ليون . لكنيسة رومية ، فى عهد اضطهاد أوريليوس قيصر سنة ١٧٧م ، والرسالة الثانية لمسيحيى آسيا .

**فقالوا فى الرسالة الأولى : -**

" من الكنائس في ليون وفيناً ، إلى الكنيسة المحبوبة فى رومية : سلام :

" ليس فى طاقتنا أن نصف الآلام التى احتملها إخواتنا ، لأن العدو هاجمنا بكل قُوّته . ولكن نعمة الله حاربت عنا فأعتقت الضعفاء . وأعدّت الأقوّياء ليحملوا ذلك الثِقل . واحتملوا فى جهادهم -ضد العدو- كل ألم وعار. وكان الحاكم يقتادهم إلى الحفلات لتراهم الجماهير. أما هم فكانوا ينظرون إلى عظائم الأمور كلا شئ . ويرون أن الآلام التى يقاسونها هنا لا تُقاس بالمجد المُزمَع أن يَعلن فيسيرون بفرح عظيم . وكانت آيات

السرور الممزوجة بنعمة الله تتلألأ على جباهم . وأربطـــة أيديهم تظهر كأساور ذهبية فى يدّى عــــروس . وكـــانوا ممتلئين من رائحة المسيح الزكية ، كأن عبـــيراً ســماوياً كان يسطع منهم . فتم القول بأنه " سيأتى يوم حين يظـــن الذين يقتلونكم أنهم يخدمون الله " .

" وما أعظم ماكان هياج الحاكم والرعاع والعســـاكر على فتاة تُدّعى بلندينا . فإن المسيح أظهر فيها أن مـــاهو حقير فى عيون الناس هو عظيم فى عينيه . فإننا إذ كنـــا نخشى أن تترك الإيمان لضعفها ، امتــــلأت قــوة حتـــى اعترف مُعذبوُّها - الذين توالوا على ضربها من الصبـــاح إلى المساء - بأنهم عجزُوا عن أن يأتوها بسوء " .

" وقد جددت تلك المباركة قوتها فى شهادتها . فكانت عبارتها " إننى للمسيح " ، التى كررتها مراراً ، راحةً لــها ودواءً للألم . أما أسكندر فلم ينطق بكلمة ، بل كان يناجى الله فى قلبه . وسانكتوس الشماس ، الذى احتمـــل مـــا لا

يُقاس من الآلام التى أكثروا منها (أملاً فى أن يفوزوا منه بشئ) لم يبح لهم ، حتى بأسمه ولا بأسم عشيرته . بل كان يُجيبَهم على كل أسئلتهم بقوله : " إننى للمسيح " .

" فكأن ذلك كل ماكان يملكه . حتى حدث خصام من أجله بين معذبيه والحاكم ، لما نفدت حيلّهم . وأخذوا يضعون ألواح نحاس مُحمَّاة بالنار على أعضاء بدنه ، ولكنه ثَبَت فى جهاده، كأنه ترَّطب وتقوَّى بينبوع الماء الحي المنبثق من المسيح . وكانت جثته – التى فقدت صورتها البشرية – تُظهر هول ماقاساه من الآلام . ولكن المسيح الذى كان يتألم لأجله ، جعله قُدوَّة للغير ، ليُريهم أنه حيث تتمكن محبة الله، فليس ما يؤلم أو يخيف" .

"ولما غلب أولئك الشهداء على صنوف العذاب أخذ المعذبون يفكرون فى أنواع أخرى . فصاروا يسجنونهم فى أماكن مظلمة ، حيث اختنق كثير منهم . على أنهم وإن حُرموا المساعدة البشرية ، فقد امتلئوا بقوة من الله

جسداً وعقلاً ، فشددوا إخوانهم ، حتى سُرَّت بهم أُمنّا الكنيسة، إذ بواسطتهم اهتدى آخرون، وامتلأوا غيرةً ، وتمسكوًا بالإيمان، وأسرعوا للاعتراف به . وهكذا ضُرب عنقاً ماثوروس وسنكتو بالسيف. بعد أن أُجلسِا علي كرسي حديد مُحمًى بالنار، ولم يتزعزعا " .

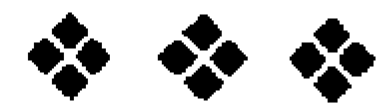
" أما **بلنديا** – المذكورة سابقاً – فربُطت وعُلقت . ثم جُعِلَت مأكلاً لوحوش البرية . وكانت وهى معلقة على الصليب تنفخ بصلواتها روحاً فى قلوب الشهداء الذين إذ نظروا إليها بعين الجسد ، رأوا فيها ذلك المصلوب. ولما لم تمسها الوحوش بضرر ، أُنزلت عن الصليب، وأُعيدت إلي سجنها يوماً آخر . وفى آخر يوم من تلك الحفلات أتوا يها – مع بنطيخوس، وهو فتى فى الخامسة عشرة من عمره – ليريا آلام الآخرين. ولما لم يتحولا عن عزمهما امتلأ الشعب هياجاً . ولم يُشفقوا عليهما ، بل عذبهما الجلادون بكل صنوف العذاب . فتشّجع

بونطيخوس من بلندينا ، واحتمـــل كـل تلـك العذابــات بشجاعة ، ثم أسلم الروح ".

" أما بلندينا فقد لفوها بحبال ، وطرحوهـــا لحيــوان. فوثب عليها ولم يستطع إصابتها . أخيراً قدمـــت عنقــها للجلاد وذُبحت إجلالاً لله الذى تعبده ، وماتت بلندينا آخــر الكل كأم نفخت حياة فى قلوب أولادهـــا الذيـــن ســبقوها منتصرين إلى الملك العظيم، حيث لحقـــت بـــهم أخــيراً بسرور . وقد شهد الأعداء أنفسهم أنه لم تحتمـــل امــرأة غيرها مااحتملته هى من الآلام ".

واتخذ غضبهم على الشهداء شكلاً جديداً ، حتى أنــهم لم يسمحوا لنا أن ندفن جثثهم . ولم يُجدِ انتظارنا فى الليـل وتقديمنا الرشوة من أجل ذلك نفعاً ، بل أقـــاموا الحُـــراس والرُقبَاء ، زاعمين أن فى عدم سماحهم لنــــا أن ندفنـــهم نُصرةً عظيمة لهم . فظلت الجثث أيامـــاً عديــدة مشـــهداً للناظرين . ثم أُخذِت وأُحرقِت، وذُرىَّ رمادها على ســطح

مياه نهر الرون ، لكى لا تبقى ذرة منهم علـــى الأرض . وقال أعداؤنا :" لنرَ الآن إنِ كانوا يقومـــون ثانيـــةً مـــن الموت ، أو ينقذهم إلههم من أيدينا " .



لكن الوثنيين لم يقوّوا على قدرة الرب الضابطة الكـل بجميع هذه الاحتياطـــات ، لأن المســيحيين قــد عرفــوا بوحى إلهى - المكان الذى أحرِقت فيه فجمعوا مــــابقى من هذا الرماد - بكل احترام - وجعلـــوه تحــت مذبـــح الكنيسة ، التى بُنيَت على اسم الرسل . وهى اليوم تُدعـــى كنيسة مارتيريار (مكان الشهداء). وكُلِف الشـــــهداء فـــى ليون أن يجلسوا على كراسى من حديد ومحمـــاة بالنـــار، وأخيط بعضهم بشباك، وطُرِحـــوا علـــى قـــرون ثـــيران وحشية. فكان جملة من استشهد يومئذ ٤٨ شهيداً ، وذلـــك سنة ١٨٧م ".

وقالوا فى الرسالة الثانية ، بعد أن حذفنا منـــــها مـــا أشير إليه فى الرسالة الأولى : " أن الذين سُئلوا فى أمــــر الديانة اعترفوا بها ، بدون خوف . فقبض المضطـــــهدون عليهم ، وضايقوهم إلى أن وصل الوالى ، المنتظر قدومـه بعد أيام قلائل . وبعدما أتى الوالى إلى ليون ، أحضرهــم إلى محكمة وعذبهم بشدة حتى أن شاباً يقال له " أغابـات " وكان حاضراً هناك ، لم يملك نفسه، عن إظهار الغضـب، وكان مسيحياً وممتلئاً حباً لله ســـبحانه ، ومــودة مقدســة للقريب ، وطاهراً فى سيرته ، وزاهداً فى العـــالم ، مـــع شدة الآلام التى كان فيها وقتئذ. وكان يسير فــــى طريــق الرب بلا لوم متمماً وصاياه، ومســـتعداً دائمــاً لخدمتــه وخدمة الكنيسة والقريب منه. ولم يزل مضطرمــاً غــيرةً على مجد سيده واجتهاداً فى خلاص إخوته".

" فطلب حينئذ أن يُسمح له بأن يَحامى عــــن بــرارة المسيحيين. مقدماً الإثبات بأن شكوى الكَفَرة ضد المؤمنين

ليست إلا إفتراءً . ولكن في الحال صاح عليه أعضاء المجلس ليسكت . وقد سئم القاضي بنفسه من طلبه التكلم لأجل المسيحيين . فسأله هل هو مسيحي ؟! فاعترف أغابات (Agabat) مُجاهراً بالدين المسيحي . وللوقت ضُم إلى مصاف الشهداء . فلقبَّه القاضي "بمحامى المسيحيين". فاعترف جهاراً بالإيمان ، مع إقرار الشهداء، الذين كانت قلوبهم تخفق بهذا الألم وعلامات الفرح الواضحة على رنات أصواتهم ".

" وقد صدر الأمر بالقبض على الطوباوى بوثيتوس أسقف ليون . ولما قبضوا عليه وكان – فى شيخوخته – يبدو بقوة، كأنه فى ريعان الشباب . فحمله الجنود ووضعوه فى أسفل مكان فى المحكمة، والشعب يتبعه ، ويُشبعه إهانةً وتعييراً . فأدى حينئذ – هذا الشيخ القديس – شهادة جليلة لألوهية سيده ، لأن الوالى سأله من هو إله

المسيحيين ؟ فأجاب الأسقف :" يمكن أن تعرفه، إن كنت تستحق ذلك".

ففى الحال خطفوه من ذلك المكان وأخذوا يسحبونه بعنف ويهينونه. وكان القائمون بالقرب منه يرفسونه بأرجلهم ، ويلطمونه بأيديهم . والذين كانوا بعيدين عنه يرشقونه كلما اقترب منهم ، بدون وقار لشيخوخته . وجميعهم يحسبون أنهم يرتكبون كُفْراً عظيماً، إذا تهاونوا فى تعذيب عدو آلهتهم . فرفعوه من بين أيدى الظالمين كأنه ميت ، وطرحوه فى سجن ، حيث نال إكليله بعد يومين" .

" أما الشهداء الآخرون ، فلما لم تُثْنهم العذابات المتنوعة ، طرحوهم فى سجن مظلم ، وجعلوا القيود فى أرجلهم . وكانت هذه القيود آلة من خشب تُفرّق ساقىّ الشهيد الواحد عن الآخر بعنف ، ويحصل من ذلك ألم

مُبَرِّح . واشتد الظالمون غيظاً لانغلابهم من أُناسٍ قاربوا على الموت . فأفرغوا ضدهم كل أنواع الظلم واجروها على الشهداء . فكان هذا العذاب شديداً بهذا المقدار ، حتى أن كثيرين منهم استشهدوا فيه . فالله سبحانه سمح بذلك لتمجيده ، لكنه حفظ غيرهم من الموت . وأعاد الصحة لأجسادهم، وزاد نفوسهم عزماً على زيادة الجهاد، ولو أنهم كانوا بدون أى عون بشرى . وكانوا مع ذلك متشددين يعزون الحاضرين ويُقوُّون عزائمهم ".

أما ما كان يزيد العجب – من هؤلاء الشهداء – فهو تواضعهم العميق ، فى عظمة الفضائل السامية ، المتلألئة بهم . ومع أنهم اعترفوا بيسوع المسيح مراراً شتى وقاسوا جلداً عذابات أليمة ، وكْى أجسادهم . فلم يُعدُّوا مع ذلك لنفوسهم أن يكونوا مستحقين كى يُسمُّوا شهداء . ولم يحتملوا قط أن يُدعوا بهذا الاسم .

وقال الراوون لسيرهم : " إذا ما اتفق لنـــا حينــاً - وسميناهم شهداء إما فى معرض الحديث عنهم أو بكتابـــة رسائل لهم ، فكانوا يحزنون حزناً شديداً ، ويلوموننا بذلـك لومة وديع ، فيقولون : " إن هذا اللقب المجيد لا يليـــق إلا بمن تمموا سعيهم ونقلهم يسوع المسيح إليه بعد اعترافـــهم به . وليس بنا نحن الخلائق الدنية ".

ثم يقبضون على أيدينا ويسكبون الدموع، مناشـــدينا لننال لهم بصلواتنا نعمة، لينهوا سعيهم نهايـــة سـعيدة . فكانوا مع ذلك مالكين كافة فضائل الشـهداء . فوداعتـــهم وصبرهم وبأسهم الشديد، كان يرفعهم فوق كل خـــوف ، ويؤهلهم لمدح الشهداء ، الذى كانوا يرفضونه. ثم كـــانت المحبة مالكة قلوبهم . كما كان التواضع مالكاً عقولهم " .

" فكانوا يبذلـــون اهتمامـــهم. وأقصـــى اجتـــهادهم. بالاقتداء بمحبة يسوع المسيح . وفى تهذيب أخلاقهم علـــى مثال المخلص الإلهى الذى أحبَّ النــــاس ، حتـــى مـــات

لأجلهم . وباقتدائهم به كانوا يغفرون لأعدائهم، ويقدمون لله صلوات حارة لأجل مضطهديهم . ولم يشجبوا أحداً بل يترفقون بجميع الناس، لاسيما بالآثمة المبادرين بالتوبة" .

وقد حدث أن البعض لم يعترفوا خوفاً من العذاب ، ومع ذلك فقد طرحوهم فى السجن نفسه، حيث تم حبس الشهداء . فلم يُسمَع قط أن الشهداء المذكورين، عاملوا هؤلاء المسيحيين الجبناء بأدنى نوع من الجفاء بل كانوا يبسطون لهم الأيدى ويساعدونهم لينهضوا من سقطتهم ، ويعاملونهم معاملة الوالدة الحنونة على بنيها. ونالوا بالدموع الغزيرة - التى سكبوُها أمام الرب - رحمته غير المتناهية، لأن الذين كانوا قد سقطوا ، عرفوا ذنبهم وأصلحوه - فيما بعد - معترفين بالإيمان اعترافاً بلا خوف . ولم يكن ارتدادهم أقل تمجيداً ليسوع المسيح مما كان مُذهلاً للوثنيين ، لأن القاضى لما استنطقهم ثانيةً على

انفراد ، لكى ما يطلقهم حـــالاً ، قـــد تعجَّـــب إذ ســـمعهم يعترفون بيسوع المسيح" .

وقد شجعَّهم بهذا العزم أحد المســيحيين الحـــاضرين الذى يُدعى اسكندر . فهذا كانت مهنته الطب . فتقَّدم إلـــى المحكمة ، وأخذ يحُرّضهم بمعاملات كثيرة على أن يثبتـوا فى الإيمان . فشعر الشعب به، وإذ كانوا قد امتلأوا غضباً - عندما شاهدوا الذين كفروا ، عادوا يعترفون بالإيمـــــان بدون خوف - غضبوا على اسكندر وشكوه للوالى. فســأله الوالى : " من أنت ؟ " قال اسكندر : " أنـــا مســيحى " . وفى الحال أدرجوه مـــع مصـــاف الشـــهداء المســتحقين الإكليل. وحُكم عليه بأن يُطرَح للوحوش .

وبعد بقاء الشهداء - فـــى الســجن بعــض أيـــام - أخرجوهم منه ليصدروا عليهم الحُكم بـــالموت بعذابـــات مختلفة . فعذبوهم كثيراً، ولكن لم يتزعزعوا عن إيمانهم".

" أما الشعب فكان في شدة الغيظ فطلبوا " **أتال** " ، لأنه كان من القديسين المشهورين ، فداروا به حول المشاهدين وأمامه لوحاً مكتوب عليه هذه الكلمات : " أتال مسيحي " وكان الوثنيون يثيرون نيران الغضب عليه، ويريدون موته . أما الوالي فلما علم أنه روماني شريف أعاده للسجن – مع باقي الشهداء – وكتب للإمبراطور . فأجابه بأنه يجب أن يُقتل جميع الذين يُصرُّون على الاعتراف بيسوع المسيح، ويُطلَق سبيل الذين يكفرون به. فجلس حينئذ الوالي في المحكمة واستدعى المسجونين ، وسألهم ثانيةً في أمر الدين . فثبتوا جميعهم في الاعتراف بالإيمان. ومن ثمَّ حَكَم عليهم بالقتل" .

" وفي اليوم التالي أتوا " باسكندر وأتال " مع باقي الشهداء ، ليُطرحا للوحوش ، لأن الوالي كان قد حكم عليهما بهذا فُرجةً للشعب . ولم يُبالِ بما كان عليه أتال

من الشرف الرومانى . فبعدمـــا أجـــروا عليـــهما جميـــع العذابات المألوفة قطعوا عنقيهما ونالا إكليلهما" .

- **سيرة حياة وجهاد ابيبود واسكندر :**

ذكر المؤرخ لومند - عن هذيـــن البطليـــن : أن دم الشهداء المسفوك بكثرة لم يُطفئ نيران الاضطـــهاد، لأن كثيرين غيرهم قاسوا الاستشهاد فى **غالياً**. ومن جملتـــهم إثنان وهما "**أبيبود واسكندر**". وشرّفا باستشهادهما مدينـــة ليون وطنهما. فكان كلاهما شـــريفى الأصـــل مرتبطيـــن ببعضهما بحبل الصداقة. فشددّت التقوى رباطـــات هـــذه المحبة .

فلما شكاهما الوثنيون إلى الوالى خرجا من المدينـــة، واختفيا فى كوخ إمرأة أرملة مسكينة، ومَكثا فيـــه زمانـــاً آمنين . ولكن لما كانت الشُرْطة تفتـــش عليـــهما بتدقيـــق واجتهاد وجدوهما، وطرحوهما فى السجن . وبعد ثلاثـــة

أيام أخرجوهما منه وأتوا بهما أمام الوالى ، فى المحكمـــة - وأيديهما مُكبّلة بـــالقيود وراء ظهريـــهما - فســـألهما القاضى عن اسميّهما وديانتهما. فقالا له عـــن اســـميهما. وأقرّا له جهراً بأنهما مسيحيان .

ففى الحال سُمِع ضجيج عظيم من الجمهور ضدهمـــا. واستشاط القاضى غيظاً، وصاح فيهما قائلاً : " ويحكمـــا أتجسران أيضاً على أن تُخالفا ولاتتا فى أوامرهـــم. فمـــا الفائدة إذن من العذاب الذى أجرّيناه علـــى الآخريـــن ؟" فحينئذ فرقوهما لئلا يشجع بعضهما بعضاً . فأتوا باسكندر من السجن - إذ كان أكبر من الآخر سناً.

وعذبوا إبيبود حيث أنه كان أضعف من اسكندر. ولكن قبل ماشرعوا بتعذيبه كان يأمل القاضى أن يكســـبه برّقة الحديث فأخذ يقول له : " لا ينبغى أن تُصـــر علـــى رأيك مُعانداً فى إهلاك نفسك . فنحن نعبد آلهـــة خـــالدة البقاء وتعبدها أيضاً جميع شـــعوب الأرض والســـلاطين،

ونكرم هذه الآلهة بالأفراح والولائم والملاعب . أما أنتم فتعبدون إنساناً مصلوباً لا يرضى منكم إلا بنبذ جميع الملذات . فدع عنك الزُهد وتمتّع بنعيم الحياة ، الموافقة كل الموافقة للسن (الشباب) الذى أنت فيه".

فأجاب الشهيد وقال : " إن شفقتك لا تُؤثّر بى قط . لأتعلّم أن يسوع المسيح بعدما صُلب قام من بين الأموات وإذ هو إله – متأنس بسر لا يُوصَف – ينهج لعبيده مدخل الملكوت السماوى . ولكن ينبغى أن نخاطبك بما يقرب إدراكه لعقلك . ولعلك تجهل أن الإنسان مُركّب من جوهرين أى من نفس (روح) وجسد . فالنفس عندنا تأمر والجسد يطيعها . فاللذات التى تعكفون عليها إجلالاً لآلهتكم تلذ الحواس، لكنها تقتل النفس . فنحن نحارب الجسد. وما ذاك إلا لنُحيِّي النفس (الروح) ونحفظ لها تسلُّطها . أما أنتم بعدما تكونون سعيتم في استيفاء شهوات

الجسد - كالبهائم - فلا تصادفون فى آخرتكـــم إلا ميتــة هائلة .أما نحن حينما تقتلوننا ، فسننتقل إلى حياة البقاء " .

فاحتدم القاضى غيظاً من هذا الجواب . وأمـــر بـــأن يلطموه على فمه ثم يُعلِّقونه على مركبة من حديد ويقـــوم إثنان من الجلادين ويمزّقا جنبيه بِشوك من الحديد . أمـــا قساوة القاضى فلم تشفِ غليل الشـــعب الغـــاضب علـــى الشهيد ، لأنها استبانت لهم بطيئة فطلبوا بصراخ عظيـــم ليدفعوه لهم لكى يُقطّعوه إرباً إرباً . فخاف القاضى وأمـــر بقطع رأسه . ثم أراد الوالى أن يشفى غليل نفسه والشـعب معه بالعذاب ، الذى كان يُعدّه " لإسكندر " فأحضره فـــى محكمته وقال له :" عليك أن تتأدب بمثل ما حدث لغـيرك. فإننا قد حاربنا المسيحيين حرباً شديدة حتى أهلكناهم . ولم يبق منهم أحد سواك ".

فأجابه اسكندر :" إننى أشكر الله من كونكم تشـــددون عزائمى بذكركم لى انتصارات الشهداء . لكنكم تخدعـــون

نفوسكم ، إذ تظنون أنكم أبدتم المسـيحيين ، لأن الاسـم المسيحى لا يُباد أبداً " . فأمر الوالى أن يبسـطوه علـى المركبة مفرقين جنبيه الواحد من الآخر بعنف ويضربـه ثلاثة من الجلادين فى نوبات . فكان الشهيد -فـى هـذا العذاب الشديد - يستغيث بالله سبحانه . فنال منـه عونـاً عظيماً ، حتى تعب كل الجلادين فى تعذيبه. ولم يتعب هو من شدة العذاب. فلما رآه القاضى لا يتزعزع، قضى عليه بالصلب . وبه تمت شهادته ، مثل سيده .

- **سيرة الشهيد سيمفوريانوس :**

وفى الاضطهاد نفسه كانت مدينة أوتون ، مسـرحاً جليلاً لما جرى فيها للقديس سيمفوريانوس . وهو شـاب شريف الحسب . فبينما كان الوثنيون يعيدون عيداً حـافلاً " لسيبال " (سبلة) إحدى آلهتهم ، أظـهر سـيمفوريانوس نفوراً من هذه العبادة الكُفرِّية . فقبض الوثنيـون عليـه، وأتوا به إلى الوالى وكان وقتئذ يطلب المسيحيين ليقتلـهم

– فقام الوالى – فى محكمته ، وقال له : " كيف أمكنك أن تفر إلى الآن من التفتيش على المسيحيين ، لأننى أظن بأننى طهرَّت المدينة من الذين يُدعَّون مسيحيين ؟ " فقل لى " لماذا رفضت أن تُعيِّد سيبال العُظمى ؟ " .

فقال سيمفوريانوس : " إننى مسيحى ولا أعبد إلا الله الواحد المالك فى السماء . أما صورة إبليس – فضلاً عن كونى لا أعبدها – فإننى أسحقها وأحوِّلها إلى رماد إن أذنتم لى بذلك " . فقال له القاضى : " لابُد من أن شرف أصلك يعطيك هذه الجسارة الكُفرية ؟ أتعلم أوامر السلطان؟ " قال هذا وتلا عليه الأمر بقتل كل من يرفض أن يقدم ضحايا للآلهة . ثم قال له :" ماجوابك على ذلك ؟ وهل لك أن تُخالف الملك فى أوامره ؟" أجابه سيمفوريانوس وقال: " إن هذا الصنم هو من اختراع إبليس الذى يستعمله لإهلاك الناس . ومَنْ مِنَ المسيحيين يرتكب ذنباً ، يسقط فى الهاوية ، لأن إلهنا عنده عقاباً

للمعاصى ، كما أن عنده أيضاً جزاءً عظيماً للفضيلة. وإننى لا أبلغ إلى ميناء السعادة الأبدية إلا بالثبات فى الاعتراف باسمه القدوس ".

فلما سمع القاضى هذا الجواب ، أمر أن يُضرب بالقضبان . ثم أرسله إلى السجن . وبعد أيام أمر بإخراجه منه وعرض عليه أن يقدم له هدية من الخزانة الملوكية ووظيفة فى الجندية، إن شاء أن يعبد الصنم . فقال له الشهيد :" إن القاضى لا يحق له أن يُضيع أحاديث باطلة. ولا أن يصطاد الأبرياء بشِرك (فخ) المخادعة . فلا أخشى من الموت لأننا نلتزم أن ندفع حياتنا لمن هو مالكها . فلماذا لا ندفع اليوم ليسوع المسيح هدية ما ، فلا نلتزم يوماً أن ندفع له ديناً . فانعاماتك ليست هى سوى سُم مكنون تحت طُعم الخيانة . فإن الزمان يذهب بأموالك وخيراتك كمجرّى ماء سريع الجريان . فالله سبحانه وحده يقدر أن يمنحنا سعادة راهنة غير فاسدة ".

فسئم القاضى من هذا الجواب وقال له : " قد أعيــت صبرى وأن لم تُضح لسيبال قضيت عليك اليوم بالقتل بعد أن أكون أنزلت بك أشد عذاب" . قال له ســيمفوريانوس : " لا أخاف إلا الله القادر على كل شئ ، الذى خلقنى . ولا أعبد إلهاً سواه . فلك سُلطان على جسدى ، أمـــا نفســى (روحى) فليس لك عليها أدنى سلطان " .

فاستشاط القاضى حينئذ غيظاً وحكم عليه قائلاً : " فليقتــل سيمفوريانوس المنافق بالسيف انتقاماً للآلهـــة والشــرائع (الرومانية) ..

وبينما كانوا سائرين به إلى موضع العذاب أســرَعت إليه والدته، لتُشجعه فى عزمه وتثبته فى مقصده. فــأخذت تصيح به من علـــو الأســوار قائلــة لـــه :" يــا ولــدى سيمفوريانوس. ياولدى العزيز. أذكر الله الحى، وتشـــجَّع ياإبنى. لا تخشَّ موتاً يوصلّك آمناً إلـــى الحيـــاة الأبديــة. إرذل العالم وارفع نظرك إلى السماء، واحتقــر عذاباً لا

يستمر إلا بُرهة من الزمن. فإن ثبَّت تبَّدل لــــك بسـعادة خالدة إن الإيمان الذى به غلبــت - هــذه الأم الباســلة - مشاعر الحنو الطبيعى ، ليس هو أقل من الإيمــان الــذى ظفر به إبنها بأهوال الموت (والدرس الآن لكــل نفــس : إن الإيمان يجَب العواطف الهوَّجاء) ".

## (٨) شهداء أزمير :

قد عثرنا على الرسالة الآتية ، التى أرسلها مؤمنــــو أزمير عن الشهداء ، شهادة عن جهادهم ، لأنهم شــاهدوا ذلك بعينهم وقالوا فيها :—

" إن هؤلاء الشهداء القديسين قد ضُربوا ضرباً عنيفــاً بالسياط، حتى ظهرت عروقهم وأعصابهم وأحشــاؤهم . وكانوا فى شدة هذا العذاب ثابتين وغــير مــتزعزعيين . وبينما كان الحاضرون ينتظرون أن يطلبوا منــهم شــفقة عليهم ، لم يُسمع من جنود المسيح أدنـــى صــراخ ، ولا أدني أنين ، بل كُنت تراهم يشاهدون الدماء تجرى أنــهاراً

من جراحاتهم العديدة ، ولم تتغير ألوان وجوههم من شدة العذاب . وينظرون أحشاءهم تخفق ولم يرتاعوا بل كانوا يتقدمون للعذاب بالسرور والابتهاج . ويتأملونه وهم صامتون .

فلم يفتحوا أفواههم ، إلا ليباركوا الرب ويسبحوه كأنه لم يكن فى أجسادهم . أو كانوا بالحرى منزهين عن الآلام ، بالإصغاء إلى صوت يسوع المسيح ، الذى يُناجى قلوبهم ويزيد فرحهم بحضوره ، فيهزأون بجميع العذاب ، ويُعدّون نفوسهم سعداء لاجتناب العذاب الخالد ، باحتمال عذاب مؤقت . والنيران التى يقاسونها كانت تظهر لهم برداً، بازاء تلك النيران التى تُطفأ للأبد ، لأن عيون قلوبهم كانت شاخصة نحو خيرات لم تنظرها عين ، ولم تسمع بها أذن ، ولم يُدركها قلب بشر. لكن الله سبحانه كان يُريهم إياها ، لأنهم لم يعودوا بشراً بعد، بل ملائكة .

فالذين حُكم عليهم بان يطرحوا للوحوش ، قد قاسوا عذاباً شديداً في السجون ، وهم ينتظرون اليوم المُعين لجهادهم . فكانوا يبسطوهم عُراة - مُخضبيَّن بالدماء - على حجارة مسنونة ويجتهدون بكل أنواع العذاب ويكفروهم بيسوع المسيح ، ولأن شيطان الجحيم لم يدع طريقة إلا اختراعها ليحملهم على الكفر ، لكنه لم يقوَّ عليهم بنعمة الله .

فكان بينهم شاب يقال له جرمانيكوس وكان يشدد عزائم الآخرين بمثله . فقبل ما يُطرح للوحوش، أخذ الوالي يخاطبه بروح الشفقة، ويحثه على أن يرحم نفسه من العذاب. أما الشاب أجابه بعزم وطيد أنه يُفضل فقد حياته القاصرة على حفظها بخسارة . ثم تقدم بكل بأس إلى أسد طالباً الموت بين مخالبه وأسنانه. فترك فيها سريعاً فضلات جسده مخضبَّة بالدماء، وخرج من عالم لا تستنشق فيه إلا رائحة الكُفر والرذائل . فحنق الشعب

عليه حنقاً شديداً ، وسمع من المشهد ضجيج وأصوات أُناس صارخين يقولون :" فليعاقب باقى الكفرة وليؤت بالأسقف بوليكربوس" .

(٩) شهداء رومية :

واشتد الاضطهاد على المسيحيين في رومية اشتداداً عنيفاً . فى عهد أدريانوس قيصر ، وممن استشهد فى ذلك الاضطهاد ألكسندر أسقف رومية مع شماسين له. وزينون وكان من أشراف المدينة المذكور . وآخرون كثيرون – نحو عشر آلاف – منهم من صُلب على جبل. ومنهم من كلل بالأشواك ، وطُعن فى جنبه، كما عومل به المسيح ربهم من قبل .

وصدر أمر إلى أحد أمراء رومية الأبطال ، ويقال له " **أسطاكيوس** " ، بأن يُقرّب للأصنام ذبائحاً – مع جملة المقربين. فأبى أن يرتكب هذا الفعل الشنيع. فغضب لذلك

الإمبراطور القاسى ونسى خدمة ذاك الأمير النبيه . وأمر بقتله مع أهله جميعاً .

ثم استشهد أيضاً فوستينوس وجوفيتا وهما أخوان ، وصبرا على ذلك - العذاب صبراً عظيماً - حتى عجب لهما طالوكسيريوس الوثنى وصرخ قائلاً : " إن إله المسيحيين لعظيم " . وكان ذلك سبب قتل هذا الرجل أيضاً .

- **شهادة الأخوة السبعة (سنة ١٥٠م) :-**

كان فى رومية إمرأة تقية يقال لها " **فليستياس**" . مات زوجها وترك لها سبعة أولاد ، وكانت تصرف أوقاتها فى عمل الخير للآخرين . فبعض الوثنيين لما شاهدوا أعمالها الخيرية وتربيتها أولادها اندهشوا من حُسن سيرها وصاروا (بقدوتها) مسيحيين. فغضب كهنة الوثنيين ، وشكوها إلى الإمبراطور. وقالوا له أنه قد وقعت إهانة على الآلهة ، يلزم أن المرأة المذكورة -

وأولادها - أن يقدموا ذبائح للأوثان . فأمر الإمبراطور حاكم المدينة أن يستدعيها ويجبرها على التضحية للأوثان. فاستحضرها الشرير وكان اسمه يوبليوس ، وطلب إليها أن تُبادر إلى تقديم الذبائح للآلهة ولم تقبل . فتهددها بقتل أولادها وتعذيبهم.

فأجابت وقالت : " إن كان أولادى أبناء المسيح، فإنهم يعيشون معه إلى أبد الدهور ، ولكنهم إن قدموا ذبائح للأصنام فليس أمامهم إلا هلاك أبدى " . فتركها الحاكم ذلك النهار .

واستحضرها فى اليوم ، وتوسل إليها أن تُشفق على أولادها الشباب ، ولا ترمى بهم إلى الهلاك . فأجابت فيلستياس وقالت : " إن قساوتى فى تسليمهم للقتل من أجل المسيح أخف جُرماً من تسليمى بأن يذبحوا للأوثان " .

ثم التفتت إلى أولادها وقالت لهم : " يا أولادى ، انظروا إلى السماء، حيث يسوع المسيح جالس ، مع

جميع قديسيه وهو ينظركم . كونوا أُمناء فـــي محبتـــه " .
حينئذ أمر الحاكم بضربـــها . واســـتدعى الأولاد إليـــه - الواحد بعد الآخر - وبذل جهده بان يُقنعهم بـــأن يـــتركوا ديانتهم . فأجابوه بان ذلك لا يجوز وانهم قط لا يـــتركون محبة المسيح . فأمر بضربهم وطرحهم في السجن .

وإذ لم يعرف كيف يتصرف - مع أولئك العنيديـــن - أرسل يخبر الإمبراطور بما حصل . فأمر الإمبراطور أن يرسل الأولاد إلى القضاة ليحكموا عليهم بميتات مختلفـــة . فأرسلهم لهم. فحكموا على واحد أن يمـــوت بـــالضرب، فجلدوه بالسياط التى بها قطع رصاص ، ولم يرفعوا عنـــه الضرب حتى أسلم الروح . وإثنـــان أماتوهمـــا بضــــرب العصى . وآخر رموه من فوق تـــل مرتفـــع. فاستشـــهد. والثلاثة الباقون قطعوا رؤوسهم . وأما الأم الحكيمة فبعـــد ذلك بأربعة أيام قطعوا رأسها أيضـــاً . وذهبـــت لتلتقـــى

بأولادها الشهداء ، فى حضرة سيدهم ومخلصهم فى السماء.

بركة صلواتهم وشفاعتهم تكون معنا ، آمين .

+ + +

( تم بحمد الله )

## الفهرست

الصفحة



## هذا الكتاب

ضمن سلسلة كتابات القس منسى يوحنا، وهو يستكمل به كتابه الشهير " تاريخ الكنيسة القبطية ".

ويتحدث فيه بإسهاب عن إنتشار المسيحية وما عانته من تجارب صعبة، كما يُسجِّل سير كثير من الشهداء فى الغرب، والتى لم ترد فى كتابه الأصلى.

ويمكن الإستعانة أيضاً بمجموعة كتب تاريخ الكنيسة، التى أعددناها و نشرتها مكتبـ المحبة، والهامة واللازمة لكل دارس وبا ولكل مُحب لتاريخ الكنيسة وسير القديـ

أطلب المجموعة كاملة من **مكتبة المـ**



٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر
ت: ٥٧٥٩٢٤٤ - فاكس: ٥٧٧٧٤٤٨
E-mail:Mahabba5@hotmail.com